دراسة العمارة الإسلامية الحربية على ضفتي نهر أبي رقراق بالمغرب الأقصى في العصرين الموحدي والمريني

د. عبد العزيز صلاح سالم
أستاذ الآثار والفنون الإسلامية
بكلية الآثار
جامعة القاهرة
خبير الآثار بالمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة
إيسيسكو.

تكُمن أهمية دراسة العمارة الإسلامية الحربية على ضفتي نهر أبي رقراق في العصرين الموحدي والمريني، في محاولة للكشف عن الغموض المحيط ببناء العمائر الإسلامية الحربية في المغرب الأقصى في ضفتي نهر أبي رقراق، فعلى الرغم من القيمة الأثرية والفنية للمنشآت الحربية في تلك المنطقة، ودورها الايجابي في الدفاع عن العدوتين سلا ورباط الفتح، وتحقيق الازدهار المعماري والفني للعمارة الإسلامية، إلا أنها لم تلق الاهتمام والعناية اللازمتين من الباحثين، وذلك لصعوبة تتبع عناصرها المعمارية والزخرفية، بسبب التغييرات والإضافات العديدة التي أدت إلى اختفاء العديد من تكويناتها المعمارية وعناصرها الزخرفية، ولذا تقوم الدراسة بحصر أنواع العمارة الإسلامية الحربية الباقية على ضفتي نهر أبي رقراق، وتوضيح طرزها المعمارية، وأساليبها الزخرفية، وتحليل النقوش الكتابية والزخرفية الباقية عليها، وتتبع التأثيرات الفنية المتبادلة بينها وبين مثيلتها في المشرق الإسلامي، وبلاد الأندلس، التي تمدنا بمعلومات قيمة عن الحياة العمرانية على ضفتي نهر أبي رقراق في العصرين الموحدي والمريني.

وتحتل ضفتي نهر أبي رقراق [1] موقعاً استراتيجياً متميزاً وفريداً، حيث تقع مدينة سلا على ضفته اليمنى، يقابلها شالة ورباط الفتح على ضفته اليسرى، حيث نشأت على ضفتي نهر أبي رقراق حضارات قديمة منذ آلاف السنين، تمثلت أبرزها في نشأة ثلاث مدن أثرية عتيقة هي:

[1] ورد اسم نهر أبي رقراق في كتابات المؤرخين والرحالة بتسميات عديدة منها : نهر أبي رقراق بوادي سلا، ووادي وانسيفن، ووادي اسمير، ووادي الرمان، وبحر سلا، ومنذ القرن العاشر عرف بوادي أبي رقراق. راجع : عبدالعزيز بنعبدالله، حاضرة الرباط والتطور الحضاري في مصب أبي رقراق، من مظاهر التضامن المغاربي عبر التاريخ، مطبوعات جمعية المؤرخين المغاربة، 2003م ص 199

شالة، [1] وسلا، [2] ورباط الفتح، [3] كما يشكل موقع شالة وسلا [4] ورباط الفتح [5] بقعة رائعة يظهر فيها التقاء المحيط الأطلسي بنهر أبي رقراق. [6] فكان من أسباب أهمية ضفتي نهر أبي رقراق هذه الوضعية الإستراتيجية التي جعلت مصب نهر أبي رقراق، [7] عقدة المواصلات بين الشمال والجنوب، ومحطة رئيسة في طريق قوافل المجاهدين. [8] وبذلك شكلت شالة وسلا ورباط الفتح معا منطقة جغرافية واحدة على ضفتي نهر أبي رقراق، [9] حيث استمدت هذه المنطقة التي تطل على المحيط الأطلسي، من ذلك وحدتها المكانية، مما شكل بذلك موقعا استراتيجيا كانت له أهميته الإيجابية على امتداد التاريخ. [10] (شكل رقم 1) وتؤكد الوثائق التاريخية والأثرية ارتباط تاريخ شالة وسلا [11] ورباط الفتح، فلا يمكن فصل الواحدة عن الأخرى نظراً لتداخلهم وتكامل عناصرهم عبر

---

[1] راجع : محمد بن على الدكالي، الاتحاف الوجيز، تاريخ العدوتين ، تحقيق مصطفى بو شعرك ، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، المغرب،1986، ص31 .، عثمان عثمان إسماعيل، حفائر شالة الإسلامية، أبحاث تاريخية وكشوف أثرية بالمغرب الأقصى، دار الثقافة، ط1، 1978م، ص 36..، سحر عبدالعزيز سالم ، مدينة الرباط في التاريخ الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1996 م ، ص3.

[2] راجع: Benslimane Hassar J., Le passé de la ville de Salé dans tous ses états: histoire, archéologie, archives, éditions Maisonneuve et Larose, Paris, 1992,p.19

[3] راجع : راجع : أحمد بن خالد الناصري السلاوي، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 3، تحقيق، أحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، المملكة المغربية، 2001، ص 160.

[4] راجع: الدكالي، الاتحاف الوجيز. ، ص31

[5] تقع مدينة رباط الفتح على الساحل الغربي من المغرب الأقصى المطل على المحيط الأطلسي، فهي تقع على النهر قرب مصبه من جهة، وعلى المحيط من جهة أخرى. وتوجد شالة جنوبها ، حيث تطل على الضفة اليسرى لنهر أبي رقراق قبل أن يصب في المحيط الأطلسي أمام سلا، التي تقع على الضفة اليمنى لنهر أبي رقراق. راجع : جعفر بن أبي أحمد الناصري، رباط الفتح وسلا أسطولهما وقرصنتها الجهادية، تحقيق أحمد بن جعفر الناصري، سلسلة تاريخ المغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ج1، 2006م، ص 19.

[6] راجع : Robert Chastel, Rabat-Salé vingt siecles de l'Oued Bou Regreg, Editions la Porte,2ème Editions 1997, p.5..

[7] راجع : Caillé Jacques, La ville de Rabat jusqu'au protectorat Français, Editions d'art et d'histoire, MICMXLIX,p.11..

[8] راجع : عبدالعزيز بنعبدالله، سلا أولى حاضرتي أبي رقراق، منشورات الخزانة العلمية الصبحية، سلا المغرب، 1989م، ص 10.

[9] راجع : عبدالعزيز بنعبدالله، حاضرة الرباط والتطور الحضاري في مصب أبي رقراق. ، ص 199

[10] راجع: Benslimane Hassar J., Le passé de la ville de Salé .,p.19

[11] راجع : سحر السيد عبدالعزيز سالم ، مدينة الرباط . ، ص7.، خليل جزوليت، مدينة الرباط من خلال الوثائق والنصوص التاريخية، ، 2007م،ص 73.

العصور، فشالة الأقدم في الوجود ثم مدينة سلا [1] التي سبقت مدينة رباط رباط الفتح بقرون في تأصيل حضارة أبي رقراق. [2] (لوحة رقم 1)

وقد تعددت الآراء حول أصل اسم سلا، ومن هذه الآراء أن اسم "سلا" [3] كان يطلق على الرباط . سلا، [4] وهناك رأي آخر يميز بين سلا القديمة، [5] وسلا الحديثة، [6] ويؤكد رأي ثالث على أن سلا تدل في كتابات المصادر القديمة على شالة، [7] والتي هي في الأصل الروماني، سلا سلا كولونيا : "Sala Colonia "، [8] ويدلل هذا الرأي بأن سلا الرومانية هي تحريف لاتيني لشالة الفينيقية. [9]

ومن خلال ما ورد في كتابات المؤرخين والرحالة، يمكن التمييز بين سلا القديمة [10] التي وردت في الكتابات والنصوص القديمة باسم شلة أو شالة، والتي يعود تاريخها إلى العصور القديمة، وبين سلا الحديثة " الحالية" تلك البقعة التي تقع في الضفة اليمني على نهر أبي رقراق، والتي ورد ذكرها في بعض المصادر التاريخية باسم " وادي سلا "، وهي المدينة التي نشأت على يد (بنو عشرة) في أواخر القرن الرابع أو أوائل الخامس الهجريين /10.11م. [11]

---

[1] راجع : محمد الناصري، سلا، معلمة المغرب ، ج 15، ص 5056_505)

[2] راجع : عبدالعزيز بنعبدالله، حاضرة الرباط والتطور الحضاري في مصب أبي رقراق. ، ص 5

[3] راجع : عبدالعزيز بنعبدالله، سلا أولى حاضرتي أبي رقراق. ، ص 10.

[4]. راجع : عبدالله العوينة، الرباط، معلمة المغرب، العدد 13، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2001م، ص 4242.

[55] عبدالله السوسي ، تاريخ رباط الفتح ، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط ، 1979 ، ص 49

[6] راجع : محمد الناصري، سلا، معلمة المغرب الأقصى، ج 15، ص 5056_505)

[7] راجع : عبدالله العوينه ، المجموعة الحضرية الرباط، سلا، الندوة العلمية حول الرباط وسلا، ج1، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1994م، ص283.

[8] راجع : Robert Chastel, Rabat-Salé vingt siecles., pp.11-12.

[9] شالة في اللغة الأمازيغية واللغة الآرامية واللغة الفينيقية تعني الكثرة. راجع : محمد بن على الدكالي ، الانحاف الوجيز . ، ص31 .

[10] يوجد رأي آخر ينسب "سلا" باسم بانييها، وهو ملك اسمه سلا من ملوك العالم الأقدمين، أو أن "سلا" من أصل أمازيغي من "أسلا" بمعنى "الصخر" للإشارة إلى طبوغرافية منطقة شالة والأودايا. راجع : محمد الناصري، سلا، معلمة المغرب ، ج 15، ص 5056_505)

[11] راجع : سحر السيد عبدالعزيز سالم ، مدينة الرباط . ، ص5.

أما مدينة رباط الفتح فيذكر المؤرخ الرباطي "بوجندار" أن سبب تسميتها بهذا الاسم يعود إلى قبل بناء هذه المدينة [1] حيث كان عبارة عن بقعة فسيحة متسعة ينزل بها جيوش الإسلام ذهاباً وإياباً فلكونها كانت رباط الملوك سميت بذلك. [2] (لوحة رقم 2)وقد بقي هذا الاسم الاسم يطلق عليها حتى بعد بنائها مدينة، [3] وقيل فيها رباط الفتح تذكاراً للفتح الأندلسي الذي كان بناؤه من غنائمه، وأنه إنما بني لغرض الجهاد والفتح وبه فتح على الموحدين، فهو رباط الفتوحات والفاتحين ومعترك الجهاد والمجاهدين. [4] وارتبطت كلمة رباط الفتح، كرباط مواجه لغير المسلمين، على موضع استراتيجي يتوسط خارطة الإمبراطورية الموحدية، [5] ويطل على المحيط الأطلسي كنقطة انطلاق الفيالق والجيوش في حركة يراد منها نصرة الإسلام والمسلمين بالأندلس. [6]

والثابت تاريخيا أن تعمير ضفتي نهر أبي رقراق في العصر الإسلامي ارتبط منذ البداية بخطط عسكرية مطبوعة بطابع ديني، وأصبحت شالة والقصبة وسلا قواعد للمجاهدين [7] الذين وقفوا في وجه وجه طغيان إمارة بورغواطة [8] ببلاد تامسنا. [9] وكما أسست سلا لتكون

---

[1] راجع : عباس الجراري، أضواء على الرباط، المدينة والجهة، ج1، منشورات النادي الجراري، 21،الرباط، 2002م، ص122.

[2] راجع : محمد السمار، تاريخ مدينة الرباط، معلمة المغرب، العدد 13، الجمعية المغربية للتاليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2001م، ص 4245.

[3] راجع : عبدالكريم كريم ، رباط الفتح عاصمة المملكة المغربية ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ن المغرب ، 1999.

[4] راجع : أبو عبدالله محمد بوجندار ، مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح ، مطبعة الجريدة بالرباط ، جمادى الثانية عام 1345هـ ، ص79.

[5]. راجع : محمد السمار، تاريخ مدينة الرباط، معلمة المغرب، العدد 13، ص 4245.

[6] راجع : عبدالعزيز توري، الرباط، معلمة المغرب، العدد 13، الجمعية المغربية للتاليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2001م، ص 4240.

[7] راجع : عبدالكريم كريم ، من مظاهر التضامن المغاربي عبر التاريخ،مطبوعات جمعية المؤرخين المغاربة، الدار البيضاء، المغرب 2003، ص 13.

[8] راجع : الناصري، كتاب الاستقصا. ، ج 2، ص179،180.

[9] منطقة تامسنا : كانت تمتد منطقة تامسنا من نهر أبي رقراق إلى نهر أم الربيع، وكانت شالة عاصمتها. راجع : عبدالعزيز بنعبدالله، حاضرة الرباط والتطور الحضاري في مصب أبي رقراق .، ص 199

دار جهاد ضد البورغواطيين،[1] أسست مدينة رباط الفتح لتكون ملتقى المجاهدين الذاهبين لإنجاد مسلمي الأندلس.[2]

وأصبحت سلا مقر الإمارة الإدريسية التابعة لمملكة فاس على إثر وفاة إدريس الأزهر[3] سنة 213 هـ/ 828م، التي يشمل نفوذها شالة،[4]وأثناء الاضطرابات التي عمت المغرب في مطلع القرن الرابع الهجري/ 10م، قام بنو يفرن بزعامة موسى بن أبي العافية[5] بالاستيلاء بالاستيلاء على فاس والقضاء على المراكز الإدريسية في الأقاليم، ومنها مدينة سلا التي خربوها فكان ذلك نهاية سلا القديمة واختفائها من خارطة المنطقة.[6]

[1] برغواطة : قبيلة مصمودية استقرت منذ ما قبل الإسلام بالسهول بين نهر أبي رقراق شمالا، ونهر أم الربيع جنوبا، وترجع الحركة البرغواطية إلى حركات الخوارج التي وصلت إلى المغرب منذ أواخر الدولة الأموية، وبعد فشل ميسرة المطغري في طنجة ومقتله سنة 128هـ، ظهر صالح بن طريف البرغواطي، وبعد وفاته خلفه حفيده يونس بن إلياس بن صالح، وكونوا إمارة اتخذوا شالة مقرا لها، وكان أول عمل قام به إدريس الأكبر بعد مبايعته في وليلي أن خرج في جموع قبائل أوربة وحلفائها لغزو برغواطة فهزمهم وأجلاهم عن شالة، التي خربوها قبل أن يخرجوا منها، في ذي الحجة عام 172هـ. راجع : محمد حجي، ظاهرة الجهاد في تأسيس سلا والرباط، الندوة العلمية حول الرباط وسلا، ج1، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1994م، ص39ـ40.

[2] راجع : محمد حجي، ظاهرة الجهاد في تأسيس سلا والرباط.، ص39ـ40.

[3] هو الأمام إدريس بن إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أمه أم ولد اسمها كنزة، ولد يوم الاثنين 3 رجب 177هـ (14 أكتوبر 793م)، راجع: ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، راجعه، عبدالوهاب بنمنصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1999م، ص30ـ39.، راجع : محمد زنيبر، إدريس الأزهر، معلمة المغرب، ج 1، ص 259ـ260..

[4] راجع : محمد حجي، ظاهرة الجهاد في تأسيس سلا والرباط.، ص39ـ40.

[5] موسى بن أبي العافية كبير مكناسة وصاحب تازة، ولاه مصالة بن حبوس صاحب تاهرت على باقي المغرب ما عدا فاس، وأصبح نفوذه يشمل المغربين الأقصى والأوسط ، تمكن من عزل يحيي الثالث عن فاس سنة 309هـ، وقام بطرد بقايا الأدراسة من فاس إلى قلعة حجر النسر، سنة 314هـ، ويرجح تاريخ موته في حوالي 341هـ. راجع : حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، مج 1، ج1، ص 370.، إبراهيم بن حركات، المغرب ، المغرب عبر التاريخ، ج1، ص 99ـ101.

[6] راجع : محمد حجي، سلا، معلمة المغرب ، ج 15، ص 5060

وأسست مدينة سلا الحديثة [1] (الحالية) في أواخر القرن الرابع أو أوائل الخامس الهجريين (10 . 11م) واشترك في تأسيسها عنصران: بنو عشرة، [2] التي تنتسب إلى الكاتب أحمد بن مدبّر البغدادي أخي إبراهيم وزير المعتمد على الله العباسي، [3] وبنو يفرن الزناتيون الذين ورثوا ملك الأدارسة، وقد شيد بنو عشرة الحي المحيط بالجامع الكبير في حومة الطالعة، وبني الزناتيون حي زناتة في الشمال الشرقي للجامع واتخذوا من سلا الحديثة (الحالية) حاضرة لإمارتهم. [4]

وقد كانت بداية ظهور مدينة رباط الفتح كموقع له أهمية إستراتيجية وسياسية متميزة مع بداية ظهور المرابطين، بعد أن استقر المولى إدريس بشالة واتخذها قاعدة لتدعيم أسس الإسلام بالمنطقة [5]. وأصبحت شالة والقصبة التي تعرف بالأوداية قاعدتين للمجاهدين الذين وقفوا في وجه طغيان إمارة بورغواطة حقبة طويلة من الزمن، ولاسيما في عهد تميم بن زيري اليفرني [6] أمير شالة ودفينها، حيث كان كان القضاء النهائي على إمارة بورغواطة قد تم على يد المرابطين. وكانت شالة بعد سقوطها في أيدي المرابطين سنة 462 هـ رباطاً هاماً

[1] راجع: عبدالعزيز بنعبدالله، حاضرة الرباط والتطور الحضاري في مصب أبي رقراق، ص 196

[2] تعود التسمية إلى شخصية تاريخية معروفة هو الأمير "عشرة"، الجد الأعلى للأسرة، الذي كان من رؤساء المغرب في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وقد ورد ذكره في المصادر التاريخية، ونوهت بعض الأشعار بجهاده ومواقفه، وهو ينتسب إلى أحمد بن المدبر أحد رجال الدولة العباسية المعروفين. وهناك رأي آخر يقول بأن أصل اسم "عشرة"، هو منقول من اسم العدد، على عادة أهل الأندلس، فقد كانوا يسمون بالأعداد، كابن عاشر، وابن خمسين، وابن سبعين، ونحو ذلك، فنسبوا إليه وسموا "بني عشرة". ونحن نرجح الرأي الأول، حيث أن الأمير "عشرة" شخصية معروفة في التاريخ الإسلامي المبكر، وكان قصره موضع المدرسة المرينية بالقرب من المسجد الأعظم بسلا. راجع: جعفر بن أبي أحمد الناصري، رباط الفتح وسلا ...، ج1، ص 27.30.

[3] راجع: جعفر بن أبي أحمد الناصري، رباط الفتح وسلا ج1، ص 28.31.

[4] يبدو أن الزناتيين هم الذين نقلوا سلا من موقعها الداخلي بجوار عين أسمير إلى شاطئ البحر، فعمروا الجانب الشمالي الشرقي وسوروه، ومازال يعرف حتى اليوم بحي زناتة. راجع: محمد حجي، ظاهرة الجهاد في تأسيس سلا والرباط، ص 41.

[5] راجع: بوجندار، مقدمة الفتح . ، ص 31

[6] هو أبو الكمال تميم بن زيري بن يعلى بن محمد بن صالح اليفرني نسبة إلى بني يفرن قبيلة بن زناتة، توفي في سنة تسع وعشرين وأربعمائة. راجع: بو جندار (محمد بن الحاج مصطفى)، الاغتباط بتراجم أعلام الرباط، تحقيق، عبدالكريم كريم، الرباط، المغرب، 1987م، ص 280.281.

من أربطتهم لقتال برغواطة الخارجة عن تعاليم الإسلام، ووجد رباط آخر على الضفة اليسرى من نهر أبي رقراق عند مصبه على المحيط الأطلسي في موضع مدينة الرباط.[1]

ويعتبر تاشفين بن على بن يوسف هو المؤسس الأول للقصبة التي أقيمت في موضع الرباط الذي أنشأه المرابطون على الضفة اليسرى لنهر أبي رقراق عند مصبه في المحيط الأطلسي للجهاد ضد برغواطة وهذا الموضع هو نفسه الذي سيقيم فيه الموحدون فيما بعد مدينة عظيمة هي مدينة رباط الفتح.[2]

وكانت مدينة سلا محاطة بالأسوار من جهاتها الأربعة في العهد المرابطي،[3] حيث اتخذ الخليفة عبد المؤمن بن علي من سلا دار مقام له بعد مراكش.[4]

أولا: العمارة الإسلامية الحربية على ضفتي نهر أبي رقراق في العصر الموحدي

يذكر المؤرخ الرباطي " بوجندار" أن " المهدي بن تومرت " كان أول من فكر في بناء مدينة حول القصبة المرابطية المقامة في الرباط، وأنه أمر الموحدين بذلك قائلا لهم : تبنون مدينة عظيمة على ساحل هذا البحر، ثم يضطرب أمركم وتنتقص عليكم البلاد حتى ما يبقى بأيديكم إلا

---

[1]. راجع : سحر السيد عبدالعزيز سالم ، مدينة الرباط. ، ص10

[2] راجع : عبدالكريم كريم ، رباط الفتح عاصمة المملكة المغربية ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، المغرب ، 1999 ، ص 9.11

[3] وقد تمنعت سلا بهذه الأسوارعلى الموحدين، وثار ضدهم محمد ابن هود الماسي السلاوي، ثم تعرضت بعض أجزاء من أسوار مدينة سلا للهدم في النصف الأول من القرن الثاني عشر إثر استيلاء الموحدين على المدينة. راجع : جعفر بن أبي أحمد الناصري، رباط الفتح وسلا . ، ج1، ص 215

[4] أمر عبدالمؤمن بن علي بهدم سور سبتة وفاس وسلا في سنة 542هـ/ 1148م، وقال عبارته الشهيرة : "أسوارنا سيوفنا". راجع : محمد بن علي الدكالي، الإتحاف الوجيز . ، ص 81.

هذه المدينة، ثم يفتح الله عليكم ويجمع كلمتكم ويعود أمركم كما كان. ولهذا سماها الموحدون برباط الفتح. [1]

ويعتبر الخليفة الموحدي عبدالمؤمن بن علي [2] أول من اهتم بتنفيذ ما أوصى به المهدي بن تومرت [3] فابتدأ في بناء حصن ومدينة في نفس الموقع الذي يقوم عليه رباط وقصبة تاشفين بن على، [4] وعرف هذا الحصن وما حوله من مبان سكنية في عهده باسم المهدية. [5]

وقد كان هذا الحصن النواة الأولى واللبنة الرئيسية لمدينة رباط الفتح، فعندما وصل الخليفة عبد المؤمن بن علي عام 545هـ/ 1150م إلى سلا [6] لاستطلاع أحوال جزيرة الأندلس، أمر ببناء قصبة حصينة في ذلك الموضع على فم البحر الداخل إلى سلا، [7] وذلك للإقامة بها كباقي كباقي المنازل الموجودة في الطريق من مراكش إلي قصر مصمودة في بوغاز جبل طارق، ولإستراتيجية المنطقة التي تسمح بالتحرك نحو جميع الجهات براً وبحراً، وكذلك لاتخاذها معسكراً لتجمع القوات المجاهدة في الأندلس، [8] فعندما قدم الخليفة عبدالمؤمن بن علي في سنة 545هـ/1150م من مراكش إلى سلا، فنظر في أمرها وأجرى إليها ماء عين غبولة، وارتحل عنها ثم عاد إليها في سنة 548هـ/1153م، ونزل في

---

[1] راجع : بوجندار ، مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح . ، ص73.

[2] عبد المؤمن بن على بن يعلى بن مروان بن نصر بن على بن عامر .. بن عدنان، كانت بيعته العامة يوم الجمعة الموافق عشرين لربيع الأول من سنة ست وعشرين وخمسمائة. راجع: ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس . ، ص235، 239.

[3] راجع: ابن خلدون، تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب، وهو القسم الآخر من التاريخ الكبير المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ج1، راجعه وصححه، البارون دسلان، طبع في دار طباعة الدولة في المغرب، ص 274.

[4] راجع: عبد الواحد العسري، مدخل لدراسة كتاب أعز ما يطلب لابن تومرت، مجلة كلية الآداب بتطوان، عدد1، سنة 1986م، ص 69، 95.

[5] راجع : Caillé Jacques, La ville de Rabat.,p.52. ..

[6] . راجع : محمد الناصري، سلا، معلمة المغرب الأقصى، ج 15، ص 5056، 5059

[7] راجع : Joudia Hassar- Benslimane, Le passé de la ville de Sallé, pp.103-110. .

[8] راجع : عبدالكريم كريم ، رباط الفتح . ، ص9

قصر بن العشرة، وفي العام التالي عقد الولاية لابنه محمد، وأمر أن يذكر في الخطبة بعده، وكتب بذلك إلى جميع الجهات،وظلت مدينة سلا ذات أهمية تحت سلطانه في وقت كانت فيه الرباط مدينة صغيرة، ومجرد محل لإعداد الجيش الموحدي الموجه نحو الجهاد بالأندلس. [1]

ويتبين من خلال النصوص التاريخية أن قصبة المهدية التي شرع الخليفة عبد المؤمن بن على في بنائها والمدينة التي شرع في تمصيرها كانت قائمة في نفس موضع القصبة الذي بناه تاشفين بن على وما حولها، وأن عبدالمؤمن بن على أمر بإعادة بناء تلك القصبة وتحصينها تحصيناً محكماً، كما أمر ببناء قصر له فيها وهو القصر الذي سيصبح قصر ولاة رباط الفتح وسلا طوال عصر الموحدين، كما أمر بمد السقاية من عين غبولة إلى ذلك الموضع، وأقام جسر يربط بين المهدية وسلا على نهر أبي رقراق. [2]

وشرع الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بن علي [3](558ـ 580 هـ/ 1163.1184م)، في استكمال ما قام به والده من بناء رباط الفتح فوسعها، وألحق بها المزيد من المباني لتصبح على هيئة مدينة أخرى ملحقة بها بعد أن خطط لذلك تخطيطاً دقيقاً ومسبقاً، كما قام بتخطيط منظم لدروب رباط الفتح وتحديد طرقها وشوارعها، وأمر ببدء

---

[1] راجع : الناصري، كتاب الاستقصا. ، ج 3، ص 67، و73.

[2] كانت القنطرة عبارة عن مراكب عددها ثلاثة وعشرون مترابطة بعوارض قد بلطت بأرضية من خشب لا تنال منها حوافز الدواب التي بلغ عدد جمالها وبغالها أحيانا ألفا في كل يوم. وقد شيدت موضع هذا الجسر قنطرة مولاى الحسن الجامعة بين العدوتين السلاوية والرباطية راجع :بوجندار ، مقدمة الفتح . ، ص40. ، عبدالعزيز بنعبدالله، سلا أولى حاضرتي أبي رقراق. ، ص 10، سحر عبدالعزيز سالم ، مدينة الرباط . ، ص21ـ23. ، و35

[3] هو أمير المؤمنين يوسف بن الخليفة أمير المؤمنين عبدالمؤمن بن علي، وبويع يوسف بعد وفاة أبيه ، في يوم الأربعاء الحادي عشر لجمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وتوفي شهيدا في غزوة شنترين من بلاد غرب الأندلس يوم السبت الثامن عشر من ربيع الآخر سنة ثمانين وخمسمائة، ودفن في تينمل إلى جانب قبر أبيه .راجع: ابن أبي زرع، روض القرطاس . ، ص269ـ273.

بناء معالمها ليستكمل ما كان والده عبد المؤمن قد شرع فيه، كما قام بتنظيم مواردها المائية،[1] كما بني جسر على نهر أبي رقراق،[2] ولكن الموت لم يمهله ليكملها فشرع ابنه أبو يوسف يعقوب المنصور إتمام بناء أسوارها وبناء مسجدها الجامع.[3]

وتذكر بعض المصادر التاريخية أن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن هو الذي بني مدينة الرباط، أو الشطر الأكبر منها، فقد حل بها مع جيوشه في جوازه الأول إلى الأندلس، في 20 رجب عام 566هـ/1170م، وأمر ببناء أسوارها من الجنوب والغرب، وجدد السقاية التي بناها أبوه، وأنشأ بجوارها صهريجا عظيماً يمدها بالماء، وقد أوضح " المراكشي" ذلك عند حديثه عن ولاية أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن بقوله : " ثم شرع في بنيان المدينة العظمى التي على ساحل البحر والنهر من العدوة التي تلي مراكش، وكان أبو يعقوب هو الذي اختطها ورسم حدودها وابتدأ في بنيانها، فعاقه الموت المحتوم عن إتمامها، فشرع أبو يوسف في بنيانها إلى أن أتم سورها.[4]

وليس هناك خلاف إلا في كون الخليفة يعقوب المنصور، هو المؤسس لمدينة رباط الفتح أو متمم ما بناه والده يوسف، وجده عبدالمؤمن، وإن كان الراجح أن الخلفاء الموحدين الثلاثة أسهموا في تأسيسها وأن هذه المرحلة استمرت قرابة نصف قرن 545 . 593 هـ / 1150 . 1196م.[5]

---

[1] تميز عرفاء البناء المغاربة بقدرات عالية في عمليات تسريب المياه في جوف الأرض وفق أصول حسابية دقيقة. راجع : سحر سالم، مدينة الرباط. ، ص26.

[2] عندما وجد الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن الجسر الذي نصبه أبيه مابين سلا والمهدية (القصبة) في حالة سيئة أمر بنصب جسر آخر إلى جانبه أعظم منه بناءً وأساساً. راجع : عبدالكريم كريم ، رباط الفتح . ، ص9

[3] راجع : سحر السيد عبدالعزيز سالم ، مدينة الرباط . ، ص36.

[4] المراكشي (أبو محمد عبدالواحد بن علي)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006م، ص 195.

[5] محمد حجي، ظاهرة الجهاد في تاسيس سلا والرباط. ، ص 44،43.

ويمكن القول من خلال ما ورد في الكتابات التاريخية إلى أن إتمام بناء مدينة رباط الفتح كان في حياة أبي يوسف يعقوب المنصور ثالث خلفاء الموحدين، [1] حيث أكملت أسوارها وأبوابها". [2] وهو ما يؤكده المؤرخ "بن أبي زرع" في "القرطاس" بقوله : " كان المنصور لما جاز إلى الأندلس لغزوة الأرك .... أمر ببناء مدينة رباط الفتح من أرض سلا، وبناء جامع حسان ومناره. [3]

وذكر المؤرخ الرباطي "بوجندار" تاريخ اكتمال إنشاء مدينة رباط الفتح بقوله : " أنه في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بني رباط الفتح [4] وتم سوره وركبت أبوابه، وأنها كانت مدينة عظيمة فيها قيسارية عظيمة وحمام وفنادق وديار كثيرة ومياه مطردة وسقايات ومنافع...". [5] ويمتد السور الموحدي الذي أسسه يعقوب المنصور برباط الفتح عام 593هـ1197م، على طول 5263م غربي، وجنوبي المدينة تحميها من الجهتين الشمالية والشرقية قصبة الأوداية ونهر أبي رقراق والمحيط الأطلسي في مساحة تشتمل على أربع أبواب هي : باب لعلو، وباب الأحد، وباب الرواح، وباب داخل القصر الملكي، وباب زعير المؤدية إلى شالة. [6] ونستعرض الآن تطور بناء العمارة الحربية على ضفتي نهر أبي رقراق في في العصر الموحدي، لاستخلاص مميزاتها العامة، وتحديد التأثيرات

[1] راجع: حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، مج2، ج 2، دولة المرابطين والموحدين والحفصيين، العصر الحديث، للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص 110.

[2] راجع : عبدالكريم كريم ، رباط الفتح . ، ص 9.11

[3] راجع : ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 301.

[4]. راجع : عبدالكريم كريم ، رباط الفتح . ، ص9

[5] راجع : أبي عبدالله محمد بوجندار ، مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح ، مطبعة الجريدة بالرباط ، جمادى الثانية عام 1345هـ ، ص75.76 .

[6] راجع: عبدالعزيز بنعبدالله، من مظاهر التضامن المغاربي. ، ص 203.204.

والأصول التاريخية والفنية لعناصرها المعمارية والزخرفية على النحو التالي :

أولاً : قصبة الأوداية

لقد أختار عبدالمؤمن بن علي لقصبته موقع رباط تاشفين،[1] الذي هدم أسواره، وقام بتحصين رباطه الجديد، بأسوار قوية من جهة البر، (شكل رقم 2) وأطلق عليها اسم قصبة المهدية،[2] (قصبة الأوداية)، [3] وأصبحت تضم الرباط المرابطي (رباط تاشفين)، (لوحة 5)، والجزء الأكبر من السور، وما يتخلله من أبراج، والباب المعماري الكبير الذي يفتح إلى الغرب (جهة سوق الغزل سابقا)، وبالداخل هناك القصر والمسجد العتيق، وكانت الأسوار تحيط بالقصبة كلها من جميع الجهات: الوادي والبحر والبر مشكلة بذلك مضلعا غير منتظم.[4] وتعدُّ قصبة الأوداية من أهم المنشآت المعمارية في العصر الموحدي، ولا تزال هذه القصبة تحتفظ بأجزاء كبيرة من أسوارها وأبراجها وأبوابها الموحدية، وبخاصة الباب التذكاري الكبير الذي كان يفتح على سوق الغزل.[5] (لوحة 6)، و (شكل رقم 3)

---

[1] كان رباط تاشفين عبارة عن حصن ذو تخطيط مستطيل له سور سميك مبني بالتراب والجير والحصى، بالإضافة إلى قطع من الخزف والآجر، والجزء الأعلى بمني بالحجارة العادية، وقد تم تحديد أبعاد هذا الرباط من خلال الأضلاع المكتشفة، وبابه المعماري وسوره الخارجي . راجع : العربي الرباطي، الأسوار المرابطية والموحدية بقصبة الأوداية، ضمن الندوة العلمية أسوار ضفتي مصب نهر أبي رقراق، سلا ـ الرباط، 18 ـ 19 أكتوبر 2003م، مطبعة دار المناهل، الرباط، 2006م، ص 32.

[2] نسبة إلى المهدي بن تومرت

[3] اقترن اسم قصبة الأوداية مؤخرا باسم قبيلة الأوداية العربية، التي سكن عدد أفرادها القصبة بعد أن جاء بها الملك عبدالرحمان 1238ـ1276هـ/1822ـ1859م. راجع : عبدالعزيز توري، قصبة الأوداية، معلمة المغرب، ج 3، ص 878 ـ 880.، آمنة معطي الله، الأوداية، معلمة المغرب، ج3، ص 878.

[4] راجع : العربي الرباطي، الأسوار المرابطية والموحدية بقصبة الأوداية. ، ص 32.

[5] راجع : Caillé Jacques, La ville de Rabat ., p.85..

وتقع قصبة[1] الأوداية التي بناها عبد المؤمن بن علي،[2] على مرتفع صخري غير منتظم الشكل ارتفاعه ثلاثون متراً على سطح البحر، بالزاوية الجنوبية لمصب وادي أبي رقراق وساحل المحيط الأطلسي، وهي محاطة بسور سواء على طول نهر أبي رقراق أو المطل على المحيط الأطلسي،[3] ويحتوي السور على ثلاثة أبراج تحمي مدينة الرباط من جهة البحر، وهي الصقالة أمام القصبة وبرج الدار وبرج الصراط يصل فيما بينها سور بحري مشيد فوق الصخر على طول ضفة الساحل.[4] (لوحة7)

ولا يزال بقصبة الأوداية أجزاء باقية من الأسوار الموحدية، سواء من جهة نهر أبي رقراق، (لوحة رقم 8)، أو من جهة المحيط الأطلسي، (لوحة رقم 9)، وتتكون الأسوار الموحدية في قصبة الأوداية بشكل عام من أربع أسوار، السور الأول يطل على شاطئ المحيط الأطلسي، والسور الثاني يمتد في اتجاه باب العلو من ناحية سوق الغزل، (لوحة رقم 10)، وأجزاء من سور الجهة الشمالية الغربية، والشمالية الشرقية الممتدة بالقرب من مبنى المتحف وحديقته،[5] ويمتد السور المطل على جهة وادي أبي رقراق بمسافة طولها 34م، بالقرب من الصقالة، وقد تم بناء هذا السور من الأحجار العادية في ترتيب غير منتظم، وأما نلاحظ الأحجار المستخدمة في الأركان فمن الحجارة المشذبة أو المنحوتة من نفس المقياس تقريبا

[1] تعني كلمة القصبة في المغرب المبنى المحصن بأسوار متينة، وهي تقابل كلمة القلعة في المشرق الإسلامي. وتستعمل كلمة قصبة للدلالة على أشكال معمارية قاسمها المشترك التحصين. راجع : منية المغاري، القصبة، معلمة المغرب، ج 19، ص 33،66.

[2] يذكر المؤرخ الرباطي "بوجندار" أن عبد المؤمن بن علي أول ملوك الموحدين هو أول من اتخذها داراً وجعلها لتخت ملكه قراراً، فاختط بقعتها وأدار أسوارها، وفتح أبوابها، وأسس مدرستها، وشيد منارها، وبني مسجدها الجامع، وأجرى إليها الماء ممدودة إلى صهاريجها من نحو عشرين ميلا وكان ذلك بعد رجوعه من فتح فاس سنة 540هـ/ 1145م راجع : بوجندار، مقدمة الفتح من تاريخ"، ص 42.

[3] راجع : Caillé Jacques, La ville de Rabat.,pp._83-84...

[4] راجع : سحر السيد عبدالعزيز سالم ، مدينة الرباط في التاريخ الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1996 م ، ص113،114،

[5] يوجد بجانب السور الموحدي الآن بالقرب من مبنى المتحف إضافات من العهد العلوي راجع : Caillé Jacques, La ville de Rabat ., p.85..

مرتبة بشكل منظم، وأسوار الجهة الشرقية مبنية مباشرة فوق الصخر بسمك 1.85م، تتخللها أبراج مستطيلة الشكل، ويحافظ السور الموحدي على تخطيطه الأصلي في الجهة الشمالية والغربية،[1] الذي يمتد على طول 220.83م، في الزاوية الشمالية بالقرب من برج المراقبة، (شكل رقم4)، وعلى طول الواجهة الجنوبية، بارتفاع ما بين 8.45م و12.96م، وسمك الجدار من 2.50 إلى 3.14 م، وهو ما سمح بممر بأعلى السور يصل اتساعه إلى 1.95م، أما الأبراج فبنيت بتباعد يتراوح ما بين 15م و 19م، بين البرج والآخر، وقد استعملت لتشييد هذا السور القوي حجارة متوسطة الحجم، محكمة البناء متراصة، وشيدت الزوايا بأحجار منحوتة متساوية الحجم وذلك لتقوية هذه النقط المهمة،[2] وكل أسوار القصبة التي ترجع إلى عهد عبد المؤمن مبنية بالحجارة العادية في الجزء الأكبر منها بينما في الأعلى نجد البناء بطريقة الطابية.[3] (لوحة رقم 11)

ويتوسط الجهة الجنوبية الباب الكبير الذي ويفتح على بعد 56.19م، من الزاوية الغربية، ويشكل بناءً عظيماً طوله 38.90م وعرضه 16م، وارتفاعه من 12 . 13م،[4] ويعتبر الباب الكبير بقصبة الأوداية من أروع إبداعات القرن السادس الهجري، (لوحة رقم 12)، بما اشتمل عليه من تركيب هندسي متنوع،[5] وتفنن في وسائل الدفاع وأساليب التغطية، فضلا عن زخارفه الفنية والهندسية، وهو من جملة الأبواب الموحدية

[1] راجع : العربي الرباطي، الأسوار المرابطية والموحدية بقصبة الأوداية.، ص 36.37.

[2] راجع : راجع : عبدالعزيز توري، قصبة الأوداية، معلمة المغرب، ج 3، ص 878.880.

[3] راجع : العربي الرباطي، الأسوار المرابطية والموحدية بقصبة الأوداية.، ص 36.37.

[4] راجع : Caillé Jacques, La ville de Rabat ., p.85..

[5] Terrasse H.., Le décor des portes anciennes du Maroc, in Hesperis, T. III, 1923, P. 148.

العظيمة برباط الفتح، [1] والباب الكبير بالقصبة بقوسيه، المواجه أحدهما لسوق سوق الغزل" سابقاً"، والآخر لداخل القصبة، (لوحة رقم 13)، وهذه البوابة أضيفت إلى القصبة التي بناها الخليفة عبد المؤمن في زمن حفيده أبي يوسف يعقوب المنصور شأنها في ذلك شأن كل أبواب مدينة الرباط نفسها، [2] ويتميز باب قصبة الأوداية بمدخل بارز يحيط بفتحته الرئيسية برجان مربعان وقوس الفتحة عبارة عن عقد متجاوز منكسر داخل عقد متجاوز مفصص. [3]

وتتخذ هذه البوابة الرئيسية للقصبة بضخامتها مظهر البوابات العسكرية المنيعة، وعلى محور الفتحة الرئيسة تمتد ثلاث قاعات متتالية وتلك القاعات ليست على مستوى أرضية واحدة إذ يتغير مستوى الأرض من قاعة لأخرى مشكلا عقبة كأداة المهاجم المندفع من قاعة لأخرى. وتصميمه بسيط، فهو مكون من ثلاث قاعات متتالية، الأولى والثالثة مستطيلتا الشكل (7.80م، و7.12م، و 8.12م، و7.45م) بينما القاعة الثانية مربعة 7.51م، وتحتوي طبقته الأرضية على ثلاث قاعات متداخلة وعلى طبقة أولى تحوي خمسة ممرات فوقها سطح يطل على مجموع القصبة، وتغطي القاعة الأولى قبة قائمة على مثلثات كروية جوقات مقوسة، وتختلف تلك المثلثات عن القاعتين الثانية والرابعة بباب الرواح، فالمثلثات الكروية بالقاعة الأولى في باب قصبة الودايا مقصوصة على نسق خاص يسمى في المعمار المغربي مثمن بالدائرة، وتغطي القاعة الثانية قبة تستند على مثلثات كاملة تبدو شبه مقصوصة إذ ترتكز في أسفلها على إطار قائم على قوقعة وزخرفة نباتية تكتمل بها الزاوية الدنيا للمثلث

[1] راجع : راجع : عبدالعزيز توري، قصبة الأوداية، معلمة المغرب، ج 3، ص 878.880.

[2] راجع : جعفر بن أحمد الناصري، سلا ورباط الفتح، ج1، ص266.

[3] راجع : العربي الرباطي، الأسوار المرابطية والموحدية بقصبة الأوداية. ، ص 36.37.ص 37.

الكروي الذي تقوم فوقه القبة، وبعد ذلك تأتي القاعة الثالثة والأخيرة التي يغطيها قبو نصف أسطواني. [1] (شكل رقم 5)

أما المدخل المنكسر فيتمثل في وجود حائط مسدود أخير على نفس محور الباب الرئيسي بعد المرور وسط القاعات المذكورة في عمق المساحة الداخلية، بالإضافة إلى أن الفتحات المؤدية إلى داخل القصبة توجد في القاعتين الوسطى والأخيرة بحيث يلزم الانحراف يمينا للمرور داخل القصبة، ومن جهة أخرى فإن المهاجم لا يتوقع وجود منفذين إلى الداخل ولا ينتبه لتلك الخدعة حتى يجد نفسه مقسما بين المنفذين ليواجه أمام كل منفذ قوة دفاعية كاملة، ولعل ذلك العمق الكبير بطول القاعات الثلاث المتتالية المغطاة حيث يرى المدافع خصمه أكثر مما يراه الخصم المندفع من النور إلى الظلام، وهذا من السمات الدفاعية في العمارة الحربية المغربية. [2]

وقد نقش على واجهة الباب الكبير بالقصبة عدة آيات قرآنية، (لوحة 14 و 15)، وعبارات تتضمن عبارات الحمد والشكر لله، منها بالخط الكوفي (شكل رقم 6)عبارات تقرأ بنحو: " الشكر لله وحده"، وعبارة " الملك لله وحده"، كما يقرأ على هذا المدخل بعض الآيات القرآنية مثل **قوله تعالى** : " وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ". [3] **وقوله تعالى** : " إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا، وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ

[1] راجع : Caillé Jacques, La ville de Rabat ., p.95-100...

[2] راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية ، ج 3، ص 137.

[3] قرآن كريم، سورة الصف، الآيات من: 11-13 ، نقشت نفس الآيات على باب المريسة في سلا الذي يعود إلى العصر المريني.

الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ".[1]

ويذكر البعض بأن تصميم الباب الكبير بالقصبة ونظامه [2] يجعلان دوره الدفاعي ثانويا، فهو مدخل دار الحكم أكثر منه مدخل قلعة أو حصن، ومما يؤكد هذا الدور بالنسبة لباب قصبة الأوداية جمال زخرفته المتعددة الأشكال والمحكمة الصنع، وهي أشكال منحوتة مباشرة على الحجر الذي استعمل كمادة بناء، كذلك يؤخذ في الاعتبار التركيز على تزيين واجهتي الباب الخارجية والداخلية على السواء، وهو أمر يكاد يكون غير عادي إذ قورن بما عرفته زخرفة أبواب المدن عادة ما تركز على الواجهة الخارجية أكثر من الداخلية. [3] (لوحة 16 و 17)

ويمكن القول بأنه زيادة عن كون الباب الكبير باب قصبة أو حصناً من الحصون المهمة، فقد كان باب ساباط يولج منه إلي القصور، وكانت القاعة الأولى منه معدة لإيواء حراس السلطان الملازمين لأعتابه، الواقفين ببابه لحراسة قصوره، ومنازله، ودوره، كما كانت القاعة الثانية والثالثة يجلس بهما الخلفاء لاستقبال الوفود، والنظر فيما يتعلق بالجيوش، وفصل قضايا الجنود. [4]

[1] قرآن كريم، سورة الفتح، الأيات من : 1.4 .

[2] راجع : جعفر بن أحمد الناصري، سلا ورباط الفتح، ج1، ص267.

[3] راجع : راجع : عبدالعزيز توري، قصبة الأوداية، معلمة المغرب، ج 3، ص 878.880.

[4] راجع : جعفر بن أحمد الناصري، سلا ورباط الفتح، ج1، ص266.

ثانيا :الأسوار والأبراج والأبواب الموحدية على ضفتي نهر أبي رقراق

كان ملوك العصر الموحدي الأوائل يشعرون بعدم ضرورة إقامة الأسوار حول المدن . في بداية الأمر . بالرغم من أهميتها لتحقيق الأمن الداخلي، لذلك بادروا منذ شهورهم الأولى بهدم ما وجدوه من أسوار مدينة فاس، وسبتة وسلا، وكانوا يرون أن أنسب سلاح هو إنشاء معاقل وحصون مشرفة على البحر كقصبة الأوداية، بالإضافة إلى إحداث أسطول كبير في البحر المتوسط، وقام الخليفة الموحدي عبدالمؤمن بن علي في سنة 555هـ/ بالارتكاز على جبل طارق لحماية التواصل بين المغرب والأندلس.[1] ثم شرع الخليفة أبو يعقوب يوسف بعد ذلك في بناء سور مدينة رباط الفتح بعد أن اختط ورسم سورها، ولكن الموت عاجله فاستكمل بناءها ولده الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور إلى أن أتم سورها، ويمتد سور مدينة الرباط على مسطح من الأرض يبلغ طوله 5263 م تقريباً وصل إلينا اليوم نحو 5189م، ويبلغ سمكه أحياناً مترين اثنين ونصف المتر ويصل ارتفاعه إلى عشرة أمتار.[2] وكان هذا السور يحمي مدينة رباط الفتح من الجهتين الشرقية والجنوبية فحسب بينما كانت المرتفعات الغربية ووادي أبو رقراق والمحيط من الجهات الغربية تحميها من الجهات الأخرى. (لوحات 18 . 22)

ويبدأ القطاع الغربي من السور من برج الصراط ويمتد تجاه الجنوب الشرقي ثم ينحرف نحو الشمال إلى أن يصل إلى الوادي قريباً من قلعة شالة، بحيث يفصل بينهما السور الأندلسي الممتد من باب الحد أو

[1] راجع : عبدالعزيز بنعبدالله، أسوار ضفتي أبي رقراق : جهاز أمني معزز بالأسطول،، ضمن الندوة العلمية أسوار ضفتي مصب نهر أبي رقراق، سلا، الرباط، 18، 19 أكتوبر 2003م، مطبعة دار المناهل، الرباط، 2006م، ص 21.

[2] راجع : Caillé Jacques, La ville de Rabat ., p.125..

الأحد إلى برج سيدي مخلوف المطل على الوادي،[1] وهذا السور أحدثه الأندلسيون بعد هجرتهم من الأندلس إلى الرباط في بدايات القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، ويتصل بالسور الموحدي من جهة المحيط سور أشبار،[2] ويبدأ من برج الصراط إلى فم الوادي أمام القصبة.[3] (لوحة 23)

ويبلغ عرض أسوار مدينة رباط الفتح 2.50م، بينما وصل على مقربة من برج (سوق الغزل) إلى ثلاثة أمتار، وبعض من هذه الأسوار تجدد بناؤه في العصر العلوي، والسور الذي أسسه يعقوب المنصور حوالي 593هـ/1197م قوي الدعائم رغم مرور نحو من ثمانية قرون على تأسيسه في مساحة داخلية تصل 418 م، ينفذ إليها من أربع أبواب هم : باب لعلو، وباب الرواح، وباب داخل القصر الملكي، وباب زعير المؤدي إلى شالة، وكانت مادة بنائها بالحجارة المعززة بالملاط الموحدي وهو أقوى الملاطات،ويصل علو السور إلى أزيد من عشرة أمتار يدعمها حاجز منيع من متر واحد مع أربعة وسبعين برجاً سبعة منها تمتد من برج الصراط غربي باب لعلو وتسعة إلى باب الحد وخمسة وعشرون إلى باب الرواح، وسبعة على طول الثكنة وأربعة وعشرون إلى الجهة المارة من باب زعير،

[1] كان يفتح فيه باب التبن (باب الجديد)، وهدم في عهد الحماية، ثم يليه باب البوبية، وباب شالة الذي أعيد بناؤه في عهد السلطان العلوي المولى سليمان. راجع : خليل جزوليت، مدينة الرباط من خلال الوثائق والنصوص التاريخية، منشورات جمعية رباط الفتح، مطبعة بني يزناس، سلا، المغرب، 2007م، ص 94.

[2] يبدأ السور العلوي الخارجي الذي هو من بناء سيدي محمد بن عبدالرحمن، من ساحل البحر على بعد 1740م من الجنوب الغربي لبرج الصراط، ويمتد نحو الجنوب الشرقي ثم ينعطف إلى أن يتصل بسور الموحدين على مسافة تبعد 500 م. راجع : سحر السيد عبدالعزيز سالم ، مدينة الرباط . ، ص126ـ127،

[3] أضيفت أبواب أخرى للسور الأندلسي في عهد الحماية، حيث فتح الباب الرئيس لحي الملاح المؤدي إلى شارع القناصل، وباب سوق سيدي مخلوف المواجهة لإدارة الجمارك، وباب صغير للدخول مباشرة وسط الحي السكني، كما فتحت بالقرب من باب مسجد سيدي الغندور بابان لقيساريتين متجاورتان، أما في عهد الاستقلال فقد فتح فيه باب مسجد الملاح وباب المركز الصحي، وأبواب لثلاث مقاهي وباب لقيسارية، كما أن عدد الأبراج ما بين باب التبن وباب البوبية، برجان، وما بين باب البوبية وباب شالة ثمانية، و ما بين باب شالة وبرج سيدي مخلوف ستة عشر، وقد تقلصت مساحة رباط الفتح بعد بناء السور الأندلسي. راجع : خليل جزوليت، مدينة الرباط من خلال الوثائق . ، ص 94.

وأصبحت حدودها الشرقية منذ العهد المريني هي السور الأندلسي الممتد من سيدي مخلوف إلى باب الحد (الأحد).[1]

كما يبلغ عدد الأبراج في سور مدينة رباط الفتح، أربعة وسبعين برجاً بما في ذلك الأبراج المندثرة، منها سبعة بدءاً من برج الصراط حتى باب لعلو، وتسعة من باب لعلو إلى باب الحد، وخمسة وعشرون من باب الحد إلى باب الرواح،[2] وسبعة بامتداد ثكنة الحرس الملكي، وأربعة وعشرون في القطاع المطل على نهر أبي رقراق قرب المكان الذي يعرف بالمنزه بحي الفتح، ويلاحظ أن المسافات الواقعة بين الأبراج تختلف فيما بينها، وبعض الأبراج فقدت أجزاءها العليا، وقد حافظ سكان الرباط على السور الموحدي ورمموه في القرنين 17 ، 18 الميلاديين.[3]

وقد كان السور الذي يرجع إلى العصر العلوي، والذي لم يبق منه إلا بابان اثنان، ينطلق من شاطئ المحيط الأطلسي، يبعد عن السور الموحدي الشمالي 1600م في الطرف الشمالي للسور الموحدي، وينقسم هذا السور إلى قسمين: أولهما : يبلغ طوله 3200م ويصل إلى أكدال بعدما يقطع شارع النصر إلى باب مراكش (بالقرب من السكك الحديدة خلف حديقة التجارب. وثانيهما : يتصل بالسور الموحدي مباشرة، ويبلغ طوله 1100م، وقد فتحت في السور أربعة أبواب : باب القبيبات في جهة البحر، وباب الدار البيضاء، وباب تمارة في الشارع الذي

[1] راجع : عبدالعزيز بنعبدالله، أسوار ضفتي أبي رقراق : جهاز أمني معزز بالأسطول.، ص 26.

[2] راجع : Caillé Jacques, La ville de Rabat ., pp.127-128..

[3] راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية .، ج 3، ص 120.

يحمل هذا الاسم أو باب تامسنا وباب مراكش (أو باب الحديد أو باب المجاز أو باب العدير البراني)، وباب المصلى (لقربها من المصلى).

ويبلغ السور العلوي 4. 300 كم، ولا يعرف بالضبط تاريخ بناء هذا السور، وقد هدم هذا السور إبان الحماية لتسهيل عمارة المدينة الحديثة. كما أضاف الملوك العلويين بنايات إلى السور الموحدي مثل برج لالة قضية قرب باب البحر حيث كانت المراكب تنقل الناس من الرباط إلى سلا والعكس [1]

ويمكن القول بأن أسوار الموحدين قد نسجت على منوال الأساليب المرابطية من حيث البناء بقطع الحجر الكبيرة غير المنتظمة تتخللها قطع مستوية من حين لآخر تنتظم بها سطوح المداميك، ثم تلي ذلك استعمال الحجر غير المهذب. [2]

وقد فتح في مدينة رباط الفتح خمسة أبواب موحدية هي : باب زعير، وباب لعلو، وباب الأحد، وباب الرواح، والباب الموحدي الخامس يقع في داخل القصر الملكي، وعدد الأبواب الخمسة يوحي بشئ له علاقة روحية بديننا الحنيف وبالعقيدة الإسلامية، حيث عرفت مدينة رباط الفتح بقداستها وبطهارتها وبتجمع المجاهدين قصد الذهاب إلى الأندلس، وربما كان اختيار العدد خمسة للأبواب الموحدية على الضفة اليسرى لنهر أبي رقراق، وأماكنها كان له دلالته الدينية والروحية، فالعدد خمسة يشير إلى الصلاة اليومية الخمسة، وإذ أضفنا لها العددين أي

[1] يشير "الدوكالي" إلى أن بانيه هو السلطان محمد الرابع، راجع : محمد بن على الدكالي، الاتحاف .، ص31.، عبدالعزيز بنعبدالله، اسوار ضفتي أبي رقراق: جهاز أمني معزز بالأسطول .، ص 21، 27.

[2] تميزت مرحلة ثالثة في تاريخ بناء الأسوار عند الموحدين بالبناء بالتابية بعد زيادة نسبة الجير في تركيبها ووصولها إلى أكبر درجة من الصلابة في تاريخ التابية المغربية، وبهذا بنيت أسوار مراكش ومثلها أسوار الرباط. راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية ، ج 3، ص 120.

البابين باب سبتة، وباب فاس في الضفة اليسري من نهر أبي رقراق، يصبح العدد سبعة الذي هو كذلك له دلالته الدينية والروحية في العقيدة الإسلامية، ولذلك ربما كان هناك دلالات دينية سواء في عدد أو مواقع أبواب مدينة رباط الفتح.[1]

ويقع باب العلو[2](باب البحر) بالقرب من المحيط الأطلسي بمسافة 544م، ويشكل مبنى ضخمًا طوله 19.20 م، وارتفاعه .8510م.(لوحة 24) ويحتوي باب العلو على مدخل بارز عبارة عن فتحة رئيسية بين برجين ذات عقدين يفتح أحدهما على ظاهر المدينة والآخر يؤدي إلى القاعة الأولى من التخطيط وبين العقدين المذكورين يرتفع قبو نصف أسطواني لتغطية المساحة بين العقدين وهي المساحة التي تتحرك فيها دفتا الباب: القاعة الأولى : يغيطها قبو نصف أسطواني، ويليها كوع تصنع حائطا مباشرا يواجه أي هجوم طارئ ويشكل عقبة في طريق المهاجمين.[3] أما القاعة الثانية فنصل إليها عن طريق فتحة أخيرة إلى داخل المدينة، وهذه القاعة نجدها مكشوفة في باب العلو ومغطاة في باب زعير وهو الفرق الوحيد في تخطيط وعمارة البابين. كما يشتمل على غرفتين متوازيتين إحداهما مكشوفة، وتعلو المساحة أبراج ناتئة مع وجود حجارة منحوتة جميلة في الزوايا وقلب الواجهتين الشرقية والغربية،

[1] راجع : محمد السمار، أسوار مدينة رباط الفتح من العهد الموحدي إلى نهاية القرن التاسع عشر، ضمن الندوة العلمية أسوار ضفتي مصب نهر أبي رقراق، سلا. الرباط، 18.19 أكتوبر 2003م، مطبعة دار المناهل، الرباط، 2006م، ص 42.

[2] أطلقت عدة أسماء على باب العلو، منها : لعلو أو العالي أو باب مراكش أو باب أسفي. راجع : جعفر بن أحمد الناصري، سلا ورباط الفتح، ج1، ص259.

[3] راجع : Caillé Jacques, La ville de Rabat.,p.133..

وتوجد قاعة صغيرة مربعة داخل الغرفة الأولى كانت مستودعا للسلاح. [1] (شكل رقم 7)

ويوجد باب الأحد (باب مراكش)، [2] (لوحة 25) إلى جنوب باب لعلو بمسافة 505م، ويشتمل باب الحد على مدخل بارز يتميز بفكرة شطف الأركان في برجي الباب غير أن هذا الشطف لا يحمل مقرنصات مقلوبة في أعلاه لإعادة التخطيط المثمن إلى تخطيط مربع في السطوح العليا، [3] وباب الأحد هو الباب الوحيد بالرباط البسيط في التخطيط، فهو مدخل مباشر غير منكسر، وغير مرفقي. وتنحصر فتحته الرئيسية بين عقدين متتاليين فوقهما قبو نصف أسطواني يؤدي إلى قاعة أولى فوقها قبو نصف أسطواني متقاطع بحيث تكون التغطية نتيجة تقاطع نصف برميلي طولي فتحته إلى أسفل مع نصف برميل آخر في نفس الوضع ثم قاعة ثانية على نفس المحور تغطيها قبة قائمة على مقرنصات، إلى جانب قاعة ثالثة مكشوفة إلى يسار الداخل تمتد بطول القاعتين المتتابعتين وتؤدي القاعة الثالثة الواقعة على محور المدخل والقاعة الأولى إلى فتحة الباب الداخلية المؤدية إلى داخل المدينة. [4] (شكل رقم 8) وقد تجدد بناء باب الأحد في العهد العلوي كما تدل عليه الكتابة المنقوشة عليه في جامة بيضاوية الشكل تقرأ على النحو التالي :

---

[1] راجع : Caillé Jacques, La ville de Rabat ., pp.134-135...

[2] سمي بالحد وهي تحريف لكلمة الأحد على أساس أن هذا الباب كان يطل على الطرف الغربي من السوق الذي كان يعقد في أيام الأحد، كما أطلق عليه اسم باب مراكش لأنه يفتح في اتجاه مدينة مراكش .راجع : Caillé Jacques, La ville de Rabat.,p.136..

[3] راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية ، ج 3، ص 127.

[4] راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية ، ج 3، ص 127.

(الحمد لله جدد هذا الباب السعيد أمير المؤمنين مولانا سليمان عام 1229). [1] (لوحة 26)

ويعتبر باب الرواح من الأبواب الموحدية التي تتوسط السور الشرقي لمدينة الرباط، [2] ويعد باب الرواح أكبر أبواب سور المدينة الموحدي، يبلغ عرضه 28م، وعمقه 26.93م، وارتفاعه 12م، [3] (لوحة 27) كما يعد هذا الباب أكثر السور الموحدي تنوعاً في الزخرفة، [4] منها شريط كتابي يدور بالحشوة الوسطى من الباب، تشتمل على آية قرآنية بالخط الكوفي بحروف كبيرة. [5] وكسوة الباب من الحجارة المنحوتة منتظمة الشكل وهو مدخل بارز تنحصر فتحته بين برجين مربعين ولا تؤدي فتحة الباب إلى داخل المدينة مباشرة إلا بعد المرور من عائقين متتابعين أو كوع مزدوج وبين فتحتي المدخل تجاه المدينة حيث تتحرك دفتا الباب الخشبي مساحة يغطيها قبو نصف أسطواني. ويؤدي هذا المدخل إلى قاعة أولى تغطيها قبة إشعاعية ذات ضلوع تتفرع من المركز بقمة القبة لترتكز في النهاية على جوفات مقرنصة، وبمجرد الدخول من فتحة الباب الرئيسة إلى القاعة الأولى يصطدم المهاجم بالعقبة الأولى إذ لا نجد بابا أو فتحة على محور المدخل الرئيسي ويضطر إلى تغيير المحور والانحراف يسارا في المنعطف الأول أو الكوع الأول للوصول إلى قاعة ثانية تغطيها قبة قائمة على مثلثات كروية، وعلى نفس المحور الثاني وهو

---

[1] راجع : Caillé Jacques, La ville de Rabat ., pp.134-135...

[2] Terrasse H.., Le décor des portes anciennes du Maroc, in Hesperis, T. III, 1923, P. 148.

[3] اسمه مشتق من كلمة الريح .راجع: عبدالعزيز بنعبدالله، من مظاهر التضامن المغاربي.، ص 203،204.

[4] راجع : El-Omari Rachid, Architecture Militaire de Salé, propositions de restauration, Institut National des sciences de l'archeologie et du patrimoine, 1995-1996, pp.35..

[5] الصنجات البارزة بباب الرواح التي تكون دائرة قوس العقد ظهرت على بالعمارة الإسلامية في مصر وبلاد الشام . راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية .، ج 3، ص 126.

محور القاعة الثانية توجد قاعة ثالثة مكشوفة تمكن المدافعين من صب السوائل وتوجيه السهام من جميع الجهات العليا المكشوفة. [1]

وبعد القاعة الثالثة يتغير المحور لنواجه المنعطف المنكسر الثاني ونضطر إلى الانحراف يمينا لدخول قاعة رابعة ذات قبة قائمة على مقرنصات من المثلثات الكروية تؤدي إلى فتحة الباب المطلة على داخل المدينة وفتحة الباب الأخير من قوسين بينهما قبو نصف أسطواني فوق المساحة التي تتحرك فيها دفتا الباب. [2] (شكل رقم 9) وقد جدد السلطان محمد بن عبدالله العلوي هذا الباب، وأضاف له عناصر أخرى كقوس الانفتاح المكسورة، ويحيط شريط من الخط الكوفي باللوحة المركزية المأطورة للباب في وضوح وتجانس بين المجموع والجزئيات، كما تقل الرسوم الزهرية في النقوش حيث لا تعدو بعض الأشكال السعفية، كما تقل التنميقات في الوجه الباطني للباب طبقا للتقاليد المعمارية المتبعة. [3]

ويقع الباب الموحدي الرابع في نطاق القصر الملكي على مسافة تبعد نحو 880م جنوبي باب الرواح، ويبرز عن السور من جهته الغربية بنحو 12.60 م وكان في الأصل بابا مزودا بممر منكسر، ويبلغ طوله 21.21م، وعمقه 22.80م، ويشتمل على ثلاثة غرف مثل باب الأحد، ويتشابه في نظامه مع الأبواب السابقة. [4] (شكل رقم 10)

أما الباب الخامس فهو باب زعير (باب شالة) وهو الباب الوحيد الذي يفتح في القطاع الجنوبي من سور يعقوب المنصور على الطريق

---

[1] راجع : Caillé Jacques, La ville de Rabat ., p.139-144...

[2] راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية ، ج 3، ص 128، 136.

[3] راجع: عبدالعزيز بنعبدالله، من مظاهر التضامن المغاربي، ص 204، 205.

[4] راجع : Caillé Jacques, La ville de Rabat ., pp.144-145...

المؤدية إلى إقليم قبيلة زعير التي استمد اسمه منها. ويبلغ ارتفاعه 9،71 م وعمقه 18،24 م وعرض واجهته الداخلية 12،59 م ، (لوحة 28) أما الواجهة الخارجية فعرضها 18،61 م ، ويماثل هذا الباب ، باب العلو من حيث التخطيط ، ويشتمل باب زعير على أربعة ممرات منكسرة. [1]

ويشتمل هذا الباب على برجين بارزين يشبه تخطيط باب العلو، وتصميم الباب الخارجي وتخطيطه الداخلي عبارة عن فتحة رئيسية بين البرجين ذات عقدين يفتح أحدهما على ظاهر المدينة والآخر يؤدي إلى القاعة الأولى من التخطيط، وبين العقدين يرتفع قبو نصف أسطواني لتغطية الردهة، ويغطي القاعة الأولى قبو نصف اسطواني، يليها مدخل منكسر تصنع حائطا مباشرا يواجه أي هجوم، ويشكل عقبة في طريق المهاجمين، يليه قاعة ثانية توصل إلى داخل المدينة، وهذه القاعة مكشوفة في باب العلو ومغطاة في باب زعير. [2] (شكل رقم 11)

وتتمثل الأبواب الموحدية على الضفة اليمنى لنهر أبي رقراق، في باب سبتة في السور الشمالي، وباب فاس في السور الشرقي، حيث أعيد بناء الواجهة الشمالية، والواجهة الشرقية، أما الواجهة الغربية والشمالية فبقيت بدون أسوار في العهد الموحدي. [3] وتميزت الضفة اليمنى لنهر أبي رقراق بوجود بابين رئيسين موحدين باب سبتة وباب

[1] راجع : Caillé Jacques, La ville de Rabat ., p145...

[2] راجع : راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية .، ج 3، ص 126.

[3] اكتملت ساكنة سلا في نهاية 6هـ/12م مع نزوح البربر من مختلف أنحاء شمال أفريقيا، والعرب من تونس، والنصارى المهاجرين من مملكة غرناطة . راجع : محمد حجي، سلا، معلمة المغرب ، ج 15، ص 5061

فاس،[1] وعندما تجاوز البناء نطاق السور القديم بني السلطان أبو عبد الله محمد الناصر بن المنصور جزءا منه، وأدخل العمران الجديد في داخله.[2]

وباب سبتة أحد أبواب مدينة سلا الذي كان يقع في الجانب الشمالي للسور المرابطي الذي هدمه الخليفة الموحدي عبدالمؤمن بن علي في جملة ما هدم من أسوار المدن ثم جدد بناؤه حفيده يعقوب المنصور الموحدي. وقد أعيد بناؤه في العصر العلوي بعد هدم قصبة كناوة على يد الأمير عبدالحق فينش في سنة 1738م، وكان هذا الباب ذو شكل بسيط.[3] (لوحة 29)

ويعتبر باب فاس (الخميس) من أقدم أبواب مدينة سلا، إذ يرجع بناؤه الأول إلى عصر المرابطين،[4] ويقع هذا الباب في السور الشرقي لمدينة سلا، وهو باب بارز يكتفه برجين مربعين.[5] وتبلغ مساحته 20م، وعرضه 14م بعمق 5م، وارتفاع 4م، وهو باب معقود بعقد من النوع المنفوخ، ويفتح على ردهة تنتهي ببرجين وغرفة مقبية للمراقبة، وقد شيد الباب من الأحجار الكبيرة غير المشذبة المنتظمة الشكل.[6] (لوحة 30)

---

[1] وكان ليعقوب المنصور ثالث الخلفاء الموحدين نفس الاهتمام بمدينة سلا، ففيها بويع بعد رجوعه من الأندلس، وشيد جامعها الأعظم على أنقاض جامع بني عشرة إثر انتصاره في معركة الأرك سنة 593هـ/1196م، واهتم بمنطقة سلا فاتسع عمرانها وازدادت ساكنتها. راجع : محمد السمار، أسوار مدينة رباط الفتح من العهد الموحدي إلى نهاية القرن التاسع عشر، ص 41، 42.

[2] ولم يتم هذا السور من الناحية الغربية، فكانت المدينة مكشوفة من هذه الجهة .راجع : جعفر بن أبي أحمد الناصري، رباط الفتح وسلا .، ج1، ص28، 31.

[3] راجع : El-Omari Rachid, Architecture Militaire de Salé, pp.82-83..

[4] سمي بباب فاس لأن المتوجهين إلى مدينة فاس كانوا يخرجون منه، كما عرف بباب الخميس نسبة إلى سوق الماشية الذي كان يقام بالقرب من موضع الباب خارج السور كل يوم خميس، وكان يسمى قديما بباب البليدة.

[5] يستخدم هذا الباب الآن معرضاً للفنون. راجع: Benslimane Hassar J., Le passé de la ville de Salé .,pp.112-113:

[6] راجع : El-Omari Rachid, Architecture Militaire de Salé, pp.82-83..

ثانيا : العمارة الحربية على ضفتي نهر أبي رقراق في العصر المريني

اكتسبت ضفتي نهر أبي رقراق أهمية خاصة منذ القرن السادس الهجري (الثالث عشر الميلادي)، كميناء من الموانئ الرئيسية، وإذا كان التاريخ الجهادي للعدوتين قد ارتبط بشكل وثيق منذ الأدارسة على الأقل، فإنه تلاحما منذ القرن 6هـ/ 12م، ثم استكملت معالمه بشكل نهائي منذ القرن 7هـ/ 13م، بإنشاء ترسانة سلا وتحسين ترسانة الرباط. وظلت رباط الفتح وسلا معا موضع رعاية ملوك بني مرين، وظلت جيوشهم الغادية إلى الأندلس تحل على مشارفهما وموظفي الدولة يترددون على المدينتين، ولقد انصب اهتمام بني مرين على العدوتين سلا ورباط الفتح لا كتعاطف مع الماضي الزناتي بالمنطقة فحسب، بل لضرورة إستراتيجية كذلك، فلم تغن سبتة وطنجة كمينائين اقتصاديين، ونقطة عبور إلى الأندلس، عن إعادة تجهيز وتقوية ميناء العدوتين لأن منطقة تامسنا أصبحت تستقبل عشرات الألوف من فرسان زناتة وأسرهم، وخيرات المنطقة الفائضة عن الحاجة، تصدر إلى الأندلس وغيرها، وهذا يتطلب المزيد من الموانئ التي جمعت بين دور التواصل الاقتصادي والدور الاستراتيجي، بالإضافة إلى بداية تعرض سواحل الأطلسي إلى هجوم من إيبريا منذ القرن 7 هـ/ 13م. [1]

وإذا كان تاريخ ضفتي نهر أبي رقراق قد ارتبط بالجهاد في الأندلس، فإن هزيمة المرينيين في موقعة " طريفة " قد قلص من أهمية المنطقة التي ظلت تعتبر في عهد الوطاسيين العقدة التي يسيطر

[1] راجع : إبراهيم حركات، تأملات في التاريخ الاجتماعي للعدوتين. ، ص 75، 84.

حاكمها على مجموع مملكة فاس.[1] وعرفت مدينة رباط الفتح انتعاشاً في عهد الدولة المرينية، وأصبحت مقراً لأخذ البيعة لولاة العهد من بني مرين[2] ومركزاً يقضي فيه السلاطين أعيادهم.[3] وخلفت الدولة المرينية آثارا عديدة، مثل إقامة المآثر، كالجامع الكبير والمارستان الذي كان قبالته ومسجد شالة ومدرستها وأضرحتها التي دفن بها أشهر الملوك المرينيين، التي امتازت بهندسة البناء والتصميم في العهد المريني،[4] ويرجع إلى هذا العهد تجديد إجراء المياه،[5] كما انتشر في سلا في عهد بني مرين العلم في معاهدها ومساجدها ومدارسها، وصارت زيادة عن كونها ثغراً حربياً جهادياً، مركزاً علمياً دينياً، يأوي إليه النساك والعباد والزهاد.[6]

وقد عرفت مدينة رباط الفتح إهمالاً في عهد السلاطين المرينيين الأوائل، وفي عهد أبي الحسن تم بناء رباط جديد المعروف في المصادر برباط المبارك (شالة)، بمحاذاة السور الموحدي الغربي لمدينة رباط الفتح بمقدار 150م، وهو الرباط الذي دفن فيه سلاطين بني مرين، وقد شيد الأمير المريني أبو الحسن المريني أسوار شالة، وفق الكتابات التسجيلية المحفوظة على بابه في عام 739هـ/1339م، ويسير السور المريني في شكل غير منتظم، فمتد بطول 300م، في الواجهة الشمالية الغربية، وبطول

[1] راجع: عبدالعزيز بنعبدالله، من مظاهر التضامن المغاربي. ، ص 207.

[2] تعتبر الدولة المرينية واحدة من أهم دول الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، ورابع دولة حكمت المغرب الأقصى بعد الأدراسة والمرابطين والموحدين، وأطولهم مدة إذ استمرت من منتصف القرن السابع الهجري إلى منتصف القرن التاسع الهجري. راجع: عبد العزيز بنعبد الله، الفن المغربي تعبير رائع عن مدارك الأجيال، مجلة اللسان العربي، عدد 1، 1972م ، ص 254.

[3] راجع : سحر السيد عبدالعزيز سالم ، مدينة الرباط . ، ص84.

[4] واقامة بعض المرافق الاجتماعية مثل الحمامات والسقايات. راجع: عبد القادر الخلاوي، لمحة تاريخية وأدبية عن الحمامات . ، ص122.

[5] أجرى السلطان يعقوب المريني الماء سنة 683هـ، وذلك على يد المعلم المهندس أبي الحسن علي بن الحاج. راجع : بوجندار، مقدمة الفتح . ، ص139،140.

[6] راجع: كينيث براون، موجز تاريخ سلا. ، ص 30،31.

80م في الواجهة الجنوبية الشرقية، وهذه الأسوار ترتفع بحوالي 6م، وعرضها 1.60م، وأسوار شالة مدعومة بعشرين برج مربع، وكانت تشتمل على ثلاث أبواب، أكبرهم الباب الرئيسي ذو الزخارف الغنية التي تذكرنا بالأبواب الموحدية، أما البابين الآخران فباب عين الجنة وباب الحديقة وهي أبواب ثانوية.[1] (لوحة 31)

والثابت تاريخيا أنه عندما دخل يعقوب بن عبدالله المريني مدينة سلا[2] وملكها هي والرباط وضبطهما لنفسه، حتى حلت بسلا الكارثة العظمى،[3] حيث تعرضت إلى هجمة من إسبانيا سنة652هـ/ 1260م، عندما بعث ملك قشتالة (الملك الفونسو) سرية استولت على مدينة سلا في يوم عيد الفطر من سنة652هـ/ 1260م، وقتلت الرجال والنساء والأطفال، من أهل سلا وهم يحتفلون بالعيد، وأسروا الكثير، ولما بلغ الأمير أبا يوسف ذلك، واستيلاء الأسبان علي سلا (وكان حينئذ في مدينة تازة) بادر على الفور بعساكره إلي سلا، لرفع الحصار القشتالي الذي استمر أربعة عشر يوما، وأجبر الأسبان على المغادرة.[4]

وعندما استرجع المدينة بني السور الغربي المقابل لوادي أبي رقراق، وكان يرفع الحجارة بيده، ابتغاء ثواب الله، حتى تم السور على أحصن وجه وأكمله، وكان بهذه المدينة خمسة أبواب فيما عدا باب الصناعة: اثنان في السور المريني الغربي، وواحد في السور القبلي، واثنان في السور الشمالي،[5] ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي :

---

[1] راجع : El-Omari Rachid, Architecture Militaire de Salé., , pp.38

[2] راجع : سحر عبدالعزيز سالم، مدينة الرباط. ، ص77.

[3] راجع : جعفر بن أبي أحمد الناصري، رباط الفتح وسلا .، ج1، ص28، 31.

[4] وكانوا قد أخذوا معهم أسرى من السلاويين، فأرسل السلطان أبو يوسف بعثة إلى اشبيلية لفداء نحو ثلاثة آلاف أسير بما فيهم قاضي سلا. راجع : ابن عذاري المراكشي، البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد الكتاني وأخرون، دار الغرب الإسلامي بيروت، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، ص 417

[5] راجع : جعفر بن أبي أحمد الناصري، رباط الفتح وسلا .، ج2، ص14، 15.

أولا : الأسوار والأبراج والأبواب المرينية على ضفتي نهر أبي رقراق

تشكل أسوار مصب أبي رقراق نموذجاً واضحاً للمدن المغربية العتيقة كمراكش وفاس، وتتميز عنها من جهة أخرى بارتباطها القوي بثلاث مجالات مختلفة، برية ونهرية وبحرية، وهذا يعطي التميز العجيب لمدينة رباط الفتح وسلا، ولا نكاد نجده في كثير من المدن البحرية كسبتة مثلا، مما جعل من تلك الأسوار عنصراً مكملاً لمجالاتها، وهي بذلك تخضع لتنظيم متميز تتجلى أهم مظاهره في جوانب متعددة أمنية وعسكرية واقتصادية. [1]

وقد بنى يعقوب بن عبدالحق المريني السور الغربي لدمينة سلا المطل على الوادي، وكان هذا السور قد هدم أيام عبدالمؤمن بن علي الذي هدم أسوار قواعد المغرب مثل سبتة وفاس وسلا، وقد بناه يعقوب المريني من أول دار الصناعة أمام إلى البحر [2] إلى نهاية الجهة الغربية عند برج الدموع بالقرب من ضريح سيدي بن عاشر، وهذا السور يمتد بطول وادي أبي رقراق في مساحة حوالي 1600م، وهو السور المريني الذي يحيط بالمدينة من تلك الجهة مع وجود انقطاع في السور عند موقع باب سيدي بو حاجة، وانقطاع عند موقع الباب الجديد بالقرب من باب مالقة، وقد دعم السور الغربي لمدينة سلا بعشرين برج، بقى من هذه الأبراج، خمسة أبراج من برج الملاح إلى موقع باب سيدي بو حاجة، وستة أبراج من موقع باب سيدي بو حاجة إلى موقع الباب الجديد، وباب مالقة، و ستة أبراج بين

[1] راجع : رشيد السولامي، بعض مظاهر تنظيم مجال الأسوار المغربية في العصر الوسيط، ضمن الندوة العلمية أسوار ضفتي مصب نهر أبي رقراق، سلا، الرباط، 18، 19 أكتوبر 2003م، مطبعة دار المناهل، الرباط، 2006م، ص 68.

[2] وكان القشتاليون قد تسربوا من تلك الثغرة فاحتلوا المدينة حتى أجلاهم يعقوب عام 658هـ/ 1258م. راجع : عبدالعزيز بنعبدالله، أسوار ضفتي أبي رقراق: جهاز أمني معزز بالأسطول. ، ص 22.

الأخير وبرج الدموع، (شكل رقم 12)، وهذه الأبراج اتخذت أشكال منتظمة وبنيت من الأحجار غير المشذبة، والأحجار المنحوتة المستوية. والسور المريني، بشكل عام شيد من نفس المواد التي شيدت بها الأبراج، من الأحجار غير المشذبة والأحجار المستوية المتوسطة الحجم، ووضع على هذه الأسوار أبراج مربعة ودائرية بشكل منتظم، ويعتبر هذا السور من الأسوار الحربية المرينية الأولى في المغرب. [1] (لوحة 32 و33)

وتبدأ الواجهة الشرقية من أقصى الشمال من البرج المثمن (برج الكلاب)، ويستمر إلى نهاية الواجهة الشرقية في أقصى الجنوب الغربي عند برج الملاح، بطول 530م، ويفتح في هذه الجهة باب فاس (الخميس)، وباب المريسة، ويبلغ عرض السور 1.50م، وارتفاعه (من 5 . 8م)، وضم هذا السور ثمانية أبراج، وهذه الواجهة تشبه الواجهة الغربية التي تشرف على الوادي، من حيث توزيع الأبراج والمواد التي بنيت منها، وكانت أسوار مدينة سلا تضم سبعة أبواب، باب مالقة، والباب الجديد، وبابي المريسة، وباب فاس، وباب سبتة، وباب شعفة، حيث كانت تفتح هذه الأبواب على المراكز والبلاد الرئيسية، مثل باب سبتة الذي يفتح في اتجاه طنجة وسبتة، وباب فاس في اتجاه فاس ومكناس، والباب الجديد، في اتجاه مدينة رباط الفتح عبر وادي أبي رقراق، وباب مالقة يفتح نحو المحيط الأطلسي فمدينة مالقة وبلاد الأندلس. [2]

[1] راجع : El-Omari Rachid, Architecture Militaire de Salé, propositions de restauration, Institut National des sciences de l'archeologie et du patrimoine, 1995-1996, pp.70-71.

[2] راجع : El-Omari Rachid, Architecture Militaire de Salé., pp.70-73.

ويعتبر باب المريسة من أولى العمائر الضخمة في العصر المريني، [1] (لوحة 34) التي تشهد على بهاء المدينة وعبقرية مهندسه الإشبيلي، [2] الذي شيد دار الصناعة وحفر لها ترعة توصلها بالوادي، مارة بالأرض الفاصلة بينها وبينه، وجعل لها بابين: أحدهما مقابلاً لجامع حسان بالعدوة الأخرى (رباط الفتح)، والآخر مفتوحاً في مواجهة القبلة (باب الفران)، فكان الماء يدخل من باب ويخرج من الآخر، بصناعة هندسية، وقواعد علمية فنية. [3]

ويفتح باب المريسة في الواجهة الرئيسة في مدينة سلا والمحاطة بالأسوار في مواجهة وادي نهر أبي رقراق، وهو باب ذو عقد من نوع حدوة الفرس، يكتنفه برجان مربعان، ويحمل جاني العقد العديد من الزخارف النباتية والكتابية بالخط الكوفي المورق، ويمتد الباب بارتفاع 9م عن الأرض، وبعمق 8,62م، (شكل رقم 13) ويفتح على حي الملاح الجديد، أما الباب الآخر (باب الفران)، والذي لا يحمل أي نوع من الكتابات والعناصر الزخرفية، فيفتح في السور الغربي المطل على نهر أبي رقراق. [4]

وباب المريسة هو أكبرهما وأهمها هو المفتوح في مواجهة القبلة، ويوحي منظره الشاهق بالضخامة والمهابة، وهو عبارة عن قوس كبير هلالي الشكل تحيط به عصابة مزخرفة مزينة بالكتابة الكوفية، وتملأ زاويته يميناً وشمالاً من أعلى نقوش وزخارف كأنها أوراق الشجر، وفوق الجميع إفريز بارز محكم الصنع، ويكتنفه برجان بارزان مزودان بأربع

---

[1] Terrasse H.., Le décor des portes anciennes du Maroc. , P. 148.

[2] هو المهندس محمد بن عبدالله بن الحاج الإشبيلي المتوفى بفاس سنة 714هـ/ 1314م

[3] راجع : Joudia Hassar- Benslimane, Le passé de la ville de Sallé, pp.118 .

[4] راجع : Terrasse H., Les portes de l'arsenal de Salé, in Hesperis, T. II, 1922, P. 357-370.

زخارف حجرية بارزة منحوتة في الحجر، بارتفاع 9.60 مترا، وكتب على واجهته الشرقية في الحاشية العليا، الشهادة، " لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وفوق محور القوس اسم الجلالة " الله"، كما تقرا عبارة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما".[1] وتقرأ الآيات القرآنية الكريمة على النحو التالي: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(10)تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(11) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(12)وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ.(13) }[2]

وتعكس الزخارف النباتية والكتابية على باب المريسة زخارف الفن الأندلسي المورسكي، التي ظهرت في قرطبة ثم انتشرت على العمارة والموحدية وتطورت عناصرها على باب المريسة، سواء في أسلوب تنفيذ الأوراق النخيلية البسيطة أو الأوراق النباتية المزدوجة، وزخارف العقد المفصص، وغيرها من العناصر الفنية التي انتشرت في الفنون المرينية.[3] (لوحة 35)، و (شكل رقم 14)

وذهب " Terrasse H " إلى أن هذا الباب لم يشيد للغرض الحربي، وإنما بني لخدمة دار الصناعة، ودلل على ذلك بأن باب المريسة لا يشتمل على الوسائل الدفاعية المعتادة في أبواب المدن مثل المدخل

---

[1] راجع : Ratiba Rigalma, les inscriptions arabes de salé, inventaire et etude stylistique, institute national des sciences de l'archeologie et du patrimoine, juin, 1998, p.22.

[2] قرآن كريم سورة الصف، آيات 10 ـ 13

[3] راجع: Terrasse H., & J. Hainaut, Les arts décoratifs au Maroc, Afrique orient, 1988,pp.107, 120,.

المنكسر،المعروف في أبواب المدن الإسلامية.[1] وأخالفه الرأي بالقول بأن الغرض الرئيس لبناء باب المريسة كان غرضا حربياً دفاعياً في المقام الأول، بالإضافة إلى تأديته أدوار أخرى لخدمة دار الصناعة مع باب الفران، ويعدُّ هذا الباب نموذجاً فريداً من الأبواب الدفاعية البحرية، بمعنى أن هذا الباب الضخم قد شيد بهدف حربي أساسي، ولكنه حربي بحري، حيث أنه شيد بعد الأحداث التاريخية المتعلقة باحتلال الأسبان لمدينة سلا في شوال سنة ثمان وخمسين وستمائة 658هـ/1260م، والدليل على ذلك حرص المنشأ على تسجيل بعض الآيات القرآنية التي تدعو إلى الجهاد، وتحدد الوظيفة الرئيسة لهذا الباب.

ويظهر الباب الآخر لدار الصناعة[2] المعروف بـ "باب الفران"، (لوحة 36) في الواجهة الغربية من السور، بطول 12.68م، وارتفاعه 30م، وبذلك يكون ارتفاع عقده أكبر من ارتفاع عقد باب المريسة، وذلك لأنه كان الباب الذي كانت السفن تدخل منه إلى أوراش العمل،[3] ولا يحمل كتابات أو زخارف، وقد روعي في بناء هذين البابين الكبيرين معا احتياطات وتحصينات حربية، وزود بفوهات ومرامي ووسائل دفاعية.[4]

---

[1] راجع : Terrasse H., Les portes de l'arsenal de Salé, in Hesperis, T. II, 1922, P. 357-370.

[2] دار الصناعة : هي مؤسسة صناعية مختصة في صنع أنواع مختلفة من السفن صغيرة وكبيرة، تجارية وعسكرية، وهي كلمة عربية الأصل انتشر استعمالها في العالم الإسلامي خلال العصر الوسيط. ودار الصناعة بمعنى الترسانة أو الترسخانة اليوم، وبالفرنسية أرسنال Arsenal، والإسبانية دارسنال Darcinal، وبالإيطالية أرزونال Arzenal، وبالتركية طارسانة Tarsanah وهي التي عربت فصارت ترس خانة. راجع : العياشي السربوت، دار الصناعة، معلمة المغرب، ج 12، ص 3926.

[3] شيد السلطان المريني أبو يوسف دار الصناعة كترسانة بحرية توجد بالزاوية الجنوبية الغربية للمدينة، وكانت هذه الترسانة بمثابة حوض مائي متصل بالنهر بواسطة قناتين تمران تحت الباب، وقد أسست دار الصناعة سنة 659 هـ/ 1261م، لبناء السفن الجهادية والتجارية على المستوى الوطني وأصبح الصناع السلويون (البلالطية) يبنون سفنا شراعية ضخمة لا نتوفر على أعدادها ولكن الإشارات التاريخية تدل على أن السفن التي خرجت من باب المريسة أمكنها منذ العقود الأولى أن تعيد التوازن إلى أسطول المغربي. راجع : العياشي السربوت، دار الصناعة، معلمة المغرب، ج 12، ص 3926.

[4] راجع : Terrasse H., Les portes de l'arsenal de Salé, in Hesperis, T. II, 1922, P. 357-370.

ويمثلان بابي دار الصناعة منفذي هذا المرسى الداخلي، فقد كانت تأتي المياه من النهر بواسطة ترعة عميقة وتدخل من الباب المقابل لجامع حسان، فإذا صنعت سفينة جديدة في هذا المكان، وأريد إرسالها في الوادي فتحت الترعة المذكورة فيدخل الماء وتعوم السفينة، وتخرج من الباب سابحة على وجه الماء إلى أن تصل الوادي، ولذلك ارتفع قوس الباب القبلي نحو 30 متراً لتخرج المراكب منشورة القلاع. وكان الخشب المستعمل في صنع المراكب يأتيها من غابة المعمورة، أو ينقل أخشاب الأرز عبر نهر سبو إلى الساحل، وقد حرص السلطان أبي الحسن على التوجه بنفسه إلى جبال جاناته (غرب قبيلة زمور) ليباشر قطع الخشب للإنشاء.[1]

ومن خلال دراسة التكوينات المعمارية وتحليل العناصر الزخرفية على الواجهة الرئيسية لباب المريسة، نجد التشابه الواضح بين العناصر الزخرفية على باب المريسة، زخارف الأبواب الموحدية، وبخاصة العناصر الزخرفية على باب أكناو في مراكش، (لوحة 37) وباب الرواح والباب الكبير بقصبة الأوداية في مدينة رباط الفتح، بالإضافة للتشابه الواضح بين زخرفة باب المريسة والعناصر الزخرفية المنفذة على باب شالة المريني الذي يعود تاريخه إلى سنة 739هـ، وجميع العناصر الزخرفية التي ظهرت على باب هذه الأبواب قد استمدت أصولها الفنية من الفن الأندلسي المغربي الذي ظهرت عناصره الزخرفية بشكل متطور على

[1] تأثرت دار الصناعة بسلا، كغيرها من أماكن صنع السفن، بفتور عمليات الجهاد وضعف الدولة منذ عهد السلطان أبي الحسن المريني، فهجرت وتوقف الاعتناء بها مما يفسر قيام السلطان عبدالمالك السعدي بترميم باب المريسة، وإصلاح قوسها، وقد تحولت دار الصناعة ابتداء من سنة 1222هـ/ 1808م إلى حارة لسكنى اليهود الذين تم نقلهم من ملاحهم داخل المدينة لأسباب استوجبت ذلك. راجع : العياشي السربوت، دار الصناعة، معلمة المغرب، ج 12، ص 3926.

واجهة باب المريسة، عن مثيلتها على الأبواب الموحدية سواء في تصميم العناصر الزخرفية وطريقة توزيعها أو في أسلوب رسم أوراق النخيل البسيطة أو المزدوجة، وغيرها من العناصر النباتية التي ظهرت من قبل بشكل بسيط على الأبواب الموحدية، ثم تحقق لها النضوج والاكتمال على واجهة باب المريسة المريني.[1]

ومما سبق ذكره، وعلى الرغم من أن البابين السابقين لا يحملا كتابات تسجيلية تشير إلى تاريخ إنشاؤهما، إلا أنه يمكن من خلال فحص وتحليل التكوينات الزخرفية، وطريقة توزيعها، وطريقة رسم الورقة النخيلية البسيطة والمزودجة، ومقارنتها بمثيلتها على العمارة الموحدية والمرينية، مع الأخذ في الاعتبار ما ورد في المصادر التاريخية، عن الأحداث التاريخية المتعلقة ببناء السور الغربي، وبخاصة بعد احتلال الإسبان لمدينة سلا في شوال سنة ثمان وخمسين وستمائة 658هـ/1260م، يمكن تأريخ بناء بابي المريسة إلى السلطان أبي يوسف يعقوب المريني في الفترة من 658 . 668هـ/1260م إلى 1270م.

ونستخلص من دراسة هذه الأبواب السابقة بعض السمات المعمارية والزخرفية المميزة للأبواب الموحدية والمرينية على ضفتي نهر أبي رقراق، منها ما يلي:

- تشتمل جميع الأبواب الموحدية بضفتي نهر أبي رقراق على مدخل بارز يكتنفه برجين كبيرين ذات تخطيط مربع باستثناء باب الأحد ذو الشكل الدائري المشطوف الأركان.

[1] راجع : Terrasse H., Les portes de l'arsenal de Salé, in Hesperis, T. II, 1922, P. 357-370.

- تتميز فتحات الأبواب بوجود فتحة رئيسية للقوس المفصص المستمد أصوله المعمارية والفنية من قرطبة.
- تعكس الأبواب الموحدية والمرينية الثراء الزخرفي والتنوع في التخطيط ووسائل التغطية، كما تبرز شخصية المهندس المغربي، الذي استفاد من فنون الأندلس في عمارة وزخرفة الأبواب في العصرين الموحدي والمريني.
- ظهور تأثيرات العمارة المشرقية على عمارة الأبواب الموحدية والمرينية، واستخدام نفس الوسائل المعمارية المشرقية لتحويل المساحات المربعة إلى الشكل المثمن.
- تطور زخرفة أوراق النخيلية البسيطة والمزودجة على العمارة الحربية المرينية، كما أضيف إليها عنصر الفصوص الإشعاعية المغربية.
- ظهور التأثيرات الأندلسية على عمارة وزخارف الأبواب الموحدية والمرينية على ضفتي نهر أبي رقراق
- يعتبر باب أكناوة في مراكش بتكويناته المعمارية وعناصره الزخرفية النموذج الأول للأبواب الموحدية على ضفتي نهر أبي رقراق، وأصبح المثال المحتذي في عمارة باب المريسة، وباب القصبة وباب الرواح، مع بيان تأثر الأبواب المرينية بالأبواب الموحدية سواء في التصميم العام أو استخدام العقد المفصص أو في رسم الورقة النخيلية البسيطة أوالمزدوجة. [1]

[1] راجع : Terrasse H., Le décor des portes anciennes du Maroc, in Hesperis, T. III, 1923, P.174.

وقد كان للموحدين طرازهم المعماري الذي ازدهر في كل من العدوتين، في مدن إشبيلية، ومراكش، والرباط في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، ولقد تطور هذا الطراز، وبلغ الذروة في الجمال والرقة في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، في غرناطة، واحتفظت البلاد المغربية بتقاليد هذا الطراز.[1]

وتميزت عناصر الزخرفة المعمارية في العمارة الحربية في العهد الموحدي باستخدام الأقواس المختلفة من مدورة ومدببة ومتجاوزة ومفصصة، وكان العقد المغربي المفضل هو الحدوي المتجاوز الذي ظل إلى الآن سمة تقليدية للمحاريب المغربية. وتطور القوس المفصص على عهد الموحدين فأعطى أشكالاً متنوعة، من المسنن، وذي الأسنان المدورة والمستقيمة، وبشكل عام فقد تميزت الخطوط الموحدية بالضخامة، وكانت زخرفته الهندسية أساسية، حيث اتضح ذلك على في محاريب تينيمل، والكتبية، كما اتصفت العناصر الفنية الموحدية بالبساطة الأمر الذي سمح بترك مساحات فارغة دون الزخرفة.[2]

وتتميز العمائر المرينية الباقية بصغر حجمها مقارنة بعمائر الموحدين،[3] كما تتميز العمارة المرينية بانتشار الزخرفة المعمارية انتشارا يغطي جميع السطوح في الحوائط والعقود والأسقف،[4] وعلى خلاف خطوط عناصر الزخرفة الموحدية المتميزة البسيطة الواضحة بين فراغات

---

[1] راجع : Marçais G., L'architecture musulmane d'occident, p. 244.

[2] أما عن تمثيل الشخوص الآدامية والحيوانية مما كان معروفا في الأندلس بمدينة الزهراء فإنه اختفى تماما في المغرب الأقصى في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي تحت تأثير المذهب الموحدي . راجع : سعد زغلول عبدالحميد، العمارة والفنون ..، ص 505.

[3] راجع : السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الغسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، ص 746.

[4] راجع : زكي حسن، فنون الإسلام، مطبعة النهضة المصرية، 1948، ص 121

المساحة الزخرفية الكبيرة، أصبحت خطوط الزخرفة المرينية دقيقة ومتداخلة ومنتشرة على جميع أرضية المساحات الزخرفية، وقد اكتسبت تنوعا في الألوان يضع انسجاما عاما لجميع العناصر والوحدات الزخرفية حيث نرى الألوان الأزرق والرمادي والأخضر والأسود، ويتضح ذلك بصفة عامة في زخارف جدران مدرسة أبي الحسن بسلا ونظيراتها بفاس ومكناس. [1]

كما استخدم المرينيون العقد المتجاوز كامل الاستدارة الذي عرفه المرابطون وأهملوا العقد المتجاوز المنكسر الذي استخدمه الموحدون، كما كان المستطيل المحيط بالعقد أقل ارتفاعاً من نظيره عند الموحدين، فلما جاء المرينيون جعلوا عقود مساجدهم عمودية على اتجاه القبلة نظراً لزيادة عمق المسجد عن اتساعه. [2] كما انتشرت على الأرضيات الزخرفية تضفيرات هندسية أو زهرية بسيطة أو مركبة وظهرت الأوراق النخلية، والتعريشات النخيلية، وكيزان الصنوبر متنوعة، وعلى أفاريز وإطارات الجص نقشت تضفيرات النجوم متعددة الأركان المستوحاة من الفنون الإسلامية في المشرق في تشكيلات متنوعة تحقق التوازن في الحركة والانسجام، وكانت الزهيرات المرينية ذات وريقات تتجمع على شكل اندماج أو تقاطع أو التحام، وقد ترسم الأوراق بهيئتها العادية، أو على هيئة كوز الصنوبر، وقد تكون الأوراق ملساء مرنة تتنوع بتنوع مكانها من النقش، وكثيرا ما تصنع الأوراق تضفيرا نباتيا. ومن الزخارف ذات الأصل الهندسي البسيط يظهر العقد الذي

[1]. راجع : Golvin Lucien, La madrasa, 1995, p.248.

[2] راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية و الفنون التطبيقية .،ج4، ص290

يتميز بالتناظر والتماثل، ومثلها، وكذلك زخرفة السلسلة، ويمكن القول بأن الفن المريني يعتبر فنا متميزا أعطى للخطوط الزخرفية حياة مسترسلة متصلة ومنح العناصر والوحدات جمالا منسجما مع الألوان إلى جانب نعومة الحس ورقة الذوق، ويظهر ذلك جلي في مدارس فاس، التي أصبحت قاعدة ملوك بني مرين.[1]

ومن خلال مقارنة العناصر الزخرفية وأسلوب الكتابات التي ظهرت على الأبواب الموحدية والمرينية بزخارف التحف الفنية التي تعود للعصرين الموحدي والمريني، نستطيع الوقوف على وحدة وجمالية الفن الإسلامي في تلك الفترة، فقد تشابهت العناصر الزخرفية والنقوش التي شغلت الثريات الموحدية بمثيلتها على العمارة الحربية الموحدية من حيث اشتمالها على عناصر نباتية قوامها مراوح نخيلية أو أنصاف مراوح تلتف حولها سيقان رفيعة وفي نماذج قليلة ظهرت ورقة نباتية ثلاثية الفصوص إلى جانب الزخارف الهندسية التي تشكل دائما على هيئة دائرة أو أطباق مجمعة نفذت بطريقة التخريم،[2] (لوحات أرقام 38 و39 و40)، وقد استخدمت الأوراق النخيلية الملساء، ضمن الزخارف النباتية على هذه الثريات حيث نلاحظ ذلك في الثريات في العصرين الموحدي والمريني، وخير مثال الثريا الكبرى بجامع القرويين والثريا الناقوسية المرينية بجامع القرويين، وثريا جامع فاس الجديدة وغيرها من الثريات المعروفة في تلك الفترة.[3]

[1] راجع : محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1996، ص 549.555.

[2] راجع : Terrasse H. et Hainaut J., Les arts décotatifs au Maroc, Editions Afrique Orient, 1988,pp.117-120.

[3] راجع: عبدالعزيز صلاح سالم، روائع الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 2010، ص 75.105

ويذكر " بوجندار" بأن العصر المريني قد خلف وراءه مجموعة من النصوص الكتابية الهامة التي تعكس ازدهار هذه الحقبة الزمنية في تاريخ المغرب العربي، [1] وهذه النقوش الكتابية تعكس مدى التطور الذي حققته النقوش العربية خلال عهد المرينين بالمغرب، [2] وما بلغته الكتابات العربية من تنوع في المادة وفي أساليب الكتابة، والمعروف، أن الخطوط في المغرب الأقصى اشتملت على خمسة أنواع: الكوفي، والثلث المغربي، والمبسوط، والمجوهر، والمسند أو الزمامي، والخط الكوفي استعمل في كتابة المصاحف، وفي الكتابة في النقود، كما اقتصرت على عناوين سور القرآن الكريم، وبعض الزخارف الأثرية، واستعمل الخط المبسوط في كتابة المصاحف عموماً، كما استعمل الخط المجوهر في كتابة الظهائر والرسائل السلطانية وعقود الزواج وبعض المخطوطات، في حين اختص الخط المسند أو الزمامي بكتابة مختلف أغراض الكتابة السريعة مثل كتابات شهود العدول والرسائل والمذكرات الشخصية. [3]

ويعتبر الكتابات التسجيلية المرينية الباقية بالعدوتين من أجمل النماذج التي وصلت إلينا، والتي تؤكد أن عصر بني مرين شهد انتشار استخدام الخط الكوفي وخط الثلث المغربي، وأصبحت الكتابات ذات رشاقة في التأليف وتوازن في النسب، كما تنوعت المادة التي نقشت عليها تلك الكتابات من الرخام إلى الخشب فالزليج فالجص والحجر والمعادن. [4]

---

[1] . راجع : بوجندار، مقدمة الفتح . ، ص139،140.

[2] راجع : عبدالعزيز صلاح، الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، ج1، مركز الكتاب للنشر، القاهرة 1999، ص 96، 104.

[3] راجع :عمر أفا، ملامح من تطور الخط المغربي من خلال الكتابة على النقود، . ، ص81،82.

[4] تنوعت أساليب الخطوط نفسها ، فالكوفي المضفر الذي يتألف من حروف كبيرة الحجم على أرضية عاطلة من الزخرفة التي توجد بمدخل شالة تختلف عن أسلوب الكتابة الكوفية المضفورة على أرضية من الزخارف النباتية بالواجهة الخاصة بضريح أبي الحسن، وكذلك عن الكتابة الكوفية المضفرة التي تمتاز بالتقابل كما في الأشرطة الموجودة بالمدخل البارز. راجع : عثمان عثمان إسماعيل، دراسات جديدة في الفنون الإسلامية . ، ص227.

وإذا كانت الكتابات الكوفية قد ندر استخدامها بمصر والشرق الإسلامي في الكتابات التأسيسية واقتصرت على كتابة النصوص والعبارات الدعائية أو الآيات القرآنية من القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، فإن الكتابات الزخرفية بالعمارة المرينية تمدنا بنصوص تأسيسية بالخط الكوفي ترجع للقرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، حيث نقش على أحد تيجان الأعمدة الرخامية بمدرسة العطارين كتابات بالخط الكوفي تحمل تاريخ 723هـ/ 1323م، وعلى الحجاب الخشبي الذي يغلق على فتحة الباب الموصل لصحن المدرسة البوعنانية 751 . 756هـ/ 1350 . 1355م كتابات بالخط الكوفي، وقد تنوعت أساليب الخطوط نفسها، فنجد الكوفي المضفر على أرضية خالية من الزخرفة، والكوفي المضفر على مهاد نباتي من زخارف نباتية تتألف من مراوح نخيلية وتتصل بالأفرع والأوراق عقد صغيرة في هيئة الميممات، وهناك نوعٌ من الخط الكوفي ظهر بالمدارس المرينية، واختصت به مدارس السلطان أبي الحسن، وفيه تمتد نهايات حروفه القائمة مكونة إطار تحف بالكتابة من أعلى في هيئة عقد مفصص، كما تنوعت نماذج الخط الثلث، حيث نجد منه ما يقوم على أرضية خالية من الزخرفة، ونوعاً آخر يقوم على مهاد من زخارف نباتية. [1] ونستخلص مما سبق، أن خط الثلث المغربي شهد تطوراً ملحوظًا في كل أصنافه في العصر المريني، [2]

[1] محمد السيد محمد أبو رحاب، مدارس المغرب الأقصى .ص 346، 350

[2] راجع : كريم عايش، وأخرون، أصل الخط العربي وتنوعه وتطور مخطوطاته وفهرستها، ط 1، الرباط ، 2000، ص 22، 23 .

التأثيرات الفنية المتبادلة على العمارة الحربية الموحدية والمرينية

كان للعلاقات الودية القائمة بين المغرب ومصر في العصر الإسلامي، والاحتكاك السلمي المباشر بين المغاربة وأهل مصر أعظم الأثر في نفاذ التأثيرات المغربية الأندلسية في العمارة المصرية والفنون الزخرفية، ومن بين مظاهر هذه التأثيرات التكوينات النباتية من التوشيحات التي قوامها الجمع بين الخطوط الهندسية والأشكال النباتية، وصياغة الأشكال النباتية في تلك الخطوط بحيث تتوزع تموجات الأغصان وانحناءاتها وتقاطعاتها وبداخلها ومخارجها في الأشكال الهندسية توزيعا توقيعيا مصحوبا بالتناسق الذي يعتمد على التشابك والتداخل، وحشو الفراغات الناتجة عن هذه التقاطعات الهندسية والتشابكات النباتية بوريقات أو سعف أو براعم أو زهيرات وثمرات، كما انتشرت التقاليد المغربية الأندلسية في كثير من العناصر المعمارية الزخرفية بالمنشآت والفنون الأيوبية.[1]

كما نجد اتفاقا في بعض الظواهر المعمارية بين شرق العالم الإسلامي وغربه، من ذلك ما يشاهد في القباب الأندلسية والمغربية التي تتكون من العقود الرفيعة التي تتشابك وتتقاطع لتحصر بينها الحشوات الموزعة توزيعا هندسيا، والتي كانت تملأ في الغرب الإسلامي بالشمسيات الجصية ذات الزجاج الملون، بينما كانت تملأ بالآجر في المشرق الإسلامي، إما في مداميك متوازية أو في تكوينات هندسية صغيرة المقياس، بالإضافة إلى تغشية الجدران بالخزف الملون سواء كان ذلك على هيئة بلاطات

[1] راجع : عبدالعزيز صلاح، الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، ج2، دار الكتاب للنشر، 2000، ص 123

صغيرة أو كبيرة، أو على هيئة فسيفساء من الخزف، وهو أسلوب بدأ في الانتشار في هاتين المنطقتين منذ النصف الأول من القرن 7هـ/13م، وتطورت هذه التأثيرات الشرق في العصر المملوكي في العقود المنفوخة المتجاوزة لنصف الدائرة في العديد من العمائر المملوكية.[1]

وقد استخدمت ظاهرة الشطف المائل على بعض الأبواب الموحدية مثل برجي باب الأحد لتحويل الشكل المربع إلى شكل مثمن، هذه الظاهرة ظهرت في مصر على بعض العمارة الفاطمية،[2] وهي الظاهرة التي وصل بها مهندس الدولة المرينية إلى ابتكار طراز جديد في تخطيط العمائر المغربية، تعتبر إحدى مميزات العمارة المرينية، وهي بمثابة توقيع البناء المريني على ما أنتجه من روائع العمارة والفن.[3] وفي فن الزخرفة في العصر الموحدي فقدت سعفة الأكانتوس تفاصيلها الداخلية، واقتصرت على الشكل المجرد ربما بتأثير إفريقية الفاطمية والمشرق.[4]

وهذه الظواهر بين المنطقتين تؤكد وحدة التفكير عند المعماريين المسلمين ولو كانوا في أقطار تقع في طرفين متباعدين من العالم الإسلامي، كما تؤكد الصلات الوثيقة التي ظلت قائمة مترابطة بين بقاع العالم الإسلامي.[5]

ومن جهة أخرى، توثقت الصلات الفنية بين الأندلس وبلاد المغرب طوال العصر الإسلامي، وعلى الأخص في عهد الربضي الذي

---

[1] راجع : السيد عبدالعزيز سالم، التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب الإسلامي في مجال فنون العمارة والزخرفة، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة الآثار، دار الغرب الإسلامي، ق2، ص 439-442.

[2] راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية ..، ج 3، ص 128-136.

[3] راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية و الفنون التطبيقية ..، ج4، ص 284

[4] راجع : سعد زغلول عبدالحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1986م،ص 505.

[5] محمد السيد محمد أبو رحاب، مدارس المغرب الأقصى في عصر بني مرين ..، ص 68.

قضى على ثورة أهل الربض بقرطبة سنة 202هـ/ ونفاهم من الأندلس فلاذوا إلى فاس، ثم ازدادت هذه الصلات قوة منذ أواخر عصر الخلافة الأموية بالأندلس، وبدأت التأثيرات الأندلسية تتسلل من الأندلس إلى المغرب الأقصى، واشتد تيارها في عصر دولتي المرابطين والموحدين حتى شملت كل بلاد المغرب.[1]

ولقد فتح المرابطون أبواب المغرب أمام الحضارة الأندلسية فأخذت التأثيرات الأندلسية تتدفق في عصرهم على البلاد المغربية، وإذا كانت هذه التأثيرات الأندلسية قد بدأت تزهر في المدن الساحلية مثل سبتة وطنجة وفاس منذ القرن الرابع الهجري، فإن غالبية مدن المغرب الأقصى ظلت بعيدة عن هذه المؤثرات حتى نجح المرابطون في إقامة دولة توحد بين المغرب والأندلس أكثر من ذي قبل، ولم تعد قاصرة على مدن الساحل، بل نفذت حتى إقليم الصحراء إلى أغمات ومراكش، ولأول مرة ارتبط المغرب والأندلس في وحدة فنية توثقت عراها زمن علي بن يوسف الذي زود حضارة المرابطين بجرعات من التأثرات الأندلسية أكثر مما زودها به أبوه يوسف،[2] كما كان لهجرة الأندلسيين في فترات شتى إلى فاس ومراكش الرباط وسلا، تأثيره الواضح حيث انبثقت النواة الأولى

[1] كان طبيعيا أن تتدفق هذه التأثيرات القرطبية التي يمكن أن نسميها أيضا الخلافية والأندلسية على المغرب الأقصى في العصر الأموي بعد أن سعى خلفاء قرطبة منذ عبدالرحمن الناصر إلى مد نفوذهم السياسي إلى أرض المغرب مستهدفين من وراء ذلك محاربة النفوذ الفاطمي على التراب المغربي نفسه. فعبدالرحمن الناصر هو الذي أمر ببناء صومعة جامع القرويين بفاس في شهر ربيع الأول سنة 345هـ من أخماس غنائم الروم، وجعل في أعلاها قبة صغيرة وضع في دورانها تفاحيج مموهة بالذهب في زج من حديد على نحو ما فعله مهندسوه في مئذنة جامع قرطبة الجديدة التي أمر الناصر بإنشائها في موضعها الحالي قبل مئذنة القرويين بخمس سنوات، كما أن الناصر هو أيضا الذي أمر بإنشاء صومعة الأندلسيين بفاس في جمادى الأولى سنة 345هـ راجع : السيد عبدالعزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دراسة تاريخية، عمرانية، أثرية في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ج2، 1997م، ص49.

[2] أخذ أمراء المرابطين منذ أيام يوسف بن تاشفين يستقدمون من الأندلس رجال الفن والبناء ويشركونهم في الأعمال الفنية في المغرب، فعندما عزم على بن يوسف على بناء قنطرة على وادي تنسيفت استقدم من الأندلس الخبراء في بناء القناطر، وقلعة تاسفيموت المغربية التي أقيمت في سنة 1125م، في عهد علي بن يوسف بتوجيهات رجل أندلسي يقال له الفلكي، هاجر إلى مراكش. راجع : السيد عبدالعزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ص 52.

للفن الأندلسي المغربي البارز إلى البقاع المغربية.[1] وأصبحت الأندلس في المجال الفني مرشدا للمغرب، فساد الفن الأندلسي في المغرب، وظهرت تقاليده واضحة وضوحا تاما فيما تخلف من آثار المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس.[2]

ويعدُّ الموحدون أصحاب مدرسة في فنون العمارة والزخرفة الإسلامية، فقد بادر عبدالمؤمن بن علي منذ البداية ببناء عدد من المعالم التاريخية، والمعروف أنه كان للموحدين طرازهم المعماري الجديد الذي ازدهر في كل من مدن إشبيلية، ومراكش، ورباط الفتح في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، ولقد تطور هذا الطراز، وبلغ الذروة في الجمال والرقة في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، في غرناطة، واحتفظت البلاد المغربية بتقاليد هذا الطراز.[3]

ويعتبر عصر الموحدين العصر الذي توثقت فيه العلاقات الفنية بين المغرب والأندلس على حد التزواج، وفيه انتقلت التأثيرات الأندلسية إلى المغرب الأقصى وظهرت في الأبنية التي أقامها خلفاء الموحدين هناك مثل جامع حسان بالرباط، وجامع الكتبية بمراكش، وجامع القصبة بالرباط.[4]

وقد عرفت ضفتي أبي رقراق قدوم مجموعات بشرية مختلفة من المغرب والأندلس للاستقرار والأعمار، ومعظم المصادر التاريخية تؤكد على أن الموحدين عملوا جاهدين على أعمار مدينة رباط الفتح حتى

---

[1] راجع : عبدالعزيز بنعبدالله، المغرب الأقصى يحتضن التراث الأندلسي، مجلة التاريخ العربي، العدد 12، خريف، 1999م، ص 235.

[2] راجع : حمدي عبدالمنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997م، ص 363.

[3] راجع : Terrasse H., Le décor des portes anciennes du Maroc, in Hesperis, T. III, 1923, P.174.

[4] راجع : السيد عبدالعزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ص 52.

تكون في مستوى أهميتها واتساعها، فاستوطنها المصامدة في عهد يوسف والمنصور، وكذلك بعض القبائل العربية، بالإضافة إلى قدوم مجموعات من شرق الأندلس، بعد استيلاء الأسبان عليها سنة 633هـ/ م، وأسكنهم الخليفة الرشيد الموحدي في رباط الفتح بظهير 21 شعبان من سنة 637هـ. [1] وعكست العمارة الحربية في ضفتي نهر أبي رقراق التأثيرات الأندلسية الوافدة خلال العصرين الموحدي والمريني بما اشتملت عليه من الأسوار والأبراج والأبواب بروائع الفن المغربي الأندلسي.

[1] راجع : رشيد السولامي، بعض مظاهر تنظيم مجال الاسوار المغربية في العصر الوسيط، ضمن الندوة العلمية أسوار ضفتي مصب نهر أبي رقراق، سلا. الرباط، 18. 19 أكتوبر 2003م، مطبعة دار المناهل، الرباط، 2006م، ص 68. 72.

أولا : اللوحات

(لوحة 1) منظر قديم يعود إلى أوائل القرن الماضي لنهر أبي رقراق

(لوحة 2) منظر قديم يعود إلى أوائل القرن الماضي للضفة اليسرى لنهر أبي رقراق

(**لوحة** 3) **الضفة اليسري لنهر أبي رقراق حاليا**

(**لوحة** 4) **الضفة اليمنى لنهر أبي رقراق حاليا** (2010)

(لوحة 5) الحفائر الأثرية تكشف عن رباط تاشفين بالقرب من الباب الكبير بقصبة الأوداية

(لوحة 6) قصبة الأوداية

(لوحة 7) قصبة الأوداية من الجهة الجنوبية الغربية (جهة وادي أبي رقراق)

(لوحة 8) السور الجنوبي بقصبة الاوداية

(لوحة 9) السور الشمالي لقصبة الأوداية

(لوحة 10) السور الجنوبي الشرقي لقصبة الأوداية

(لوحة 11) أحد أبراج قصبة الأوداية في السور الشرقي

(لوحة 20) أسوار رباط الفتح من الجهة الشرقية

(لوحة 21) أسوار رباط الفتح من الجهة الشمالية الشرقية

(لوحة 22) السور الشرقي من باب الأحد إلى باب الرواح

(**لوحة** 23) **السور الأندلسي برباط الفتح**

(**لوحة** 24) **باب العلو**

(لوحة 25) باب الأحد

(لوحة 26) كتابات تسجيلية من العصر العلوي

(لوحة 27) باب الرواح

(**لوحة** 28) **باب زعير**

(**لوحة** 29) **باب زعير**

(**لوحة** 30) **باب زعير**

(**لوحة** 31) **شالة وأسوارها المرينية**

(لوحة 32) أسوار سلا من الجهة الغربية

(لوحة 33) أسوار سلا من الجهة الغربية

(لوحة 34) باب المريسة في سلا

(لوحة 35) التفاصيل الزخرفية على باب المريسة في سلا

(لوحة 36) باب الفران في الواجهة الغربية بأسوار سلا

(لوحة 37) باب أكناو في مراكش

(لوحة 38) الزخارف الكتابية و النباتية على الثريا الكبرى بجامع القرويين المؤرخة في العصر الموحدي

(لوحة 39) الزخارف الهندسية بقبة الثريا الكبرى بجامع القرويين

(لوحة 40) الزخارف الهندسية والعقود المفصصة على الثريا الناقوسية المرينية بجامع القرويين

ثانيا : الأشكال

(**شكل رقم** 1) **ضفتي نهر أبي رقراق سلا ورباط الفتح، نقلا عن** :
Chastel Robert, Rabat-Salé vingt siecles de l'oued Bou Regreg, Edition la porte, 1997.

(**شكل** 2) **قصبو الأودايا نقلا عن** :
Caillé Jacques, La ville de Rabat jusqu'au protectorat Français, Editions d'art et d'histoire, MICMXLIX.

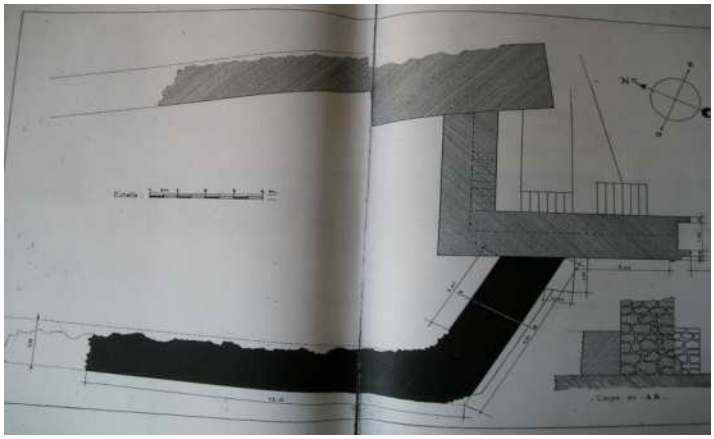

(**شكل** 3) **الأسوار الموحدية الباقية في السور الشرقي بقصبة الأوداية، نقلا عن**
Caillé Jacques, La ville de Rabat jusqu'au protectorat Français, Editions d'art et d'histoire, MICMXLIX.

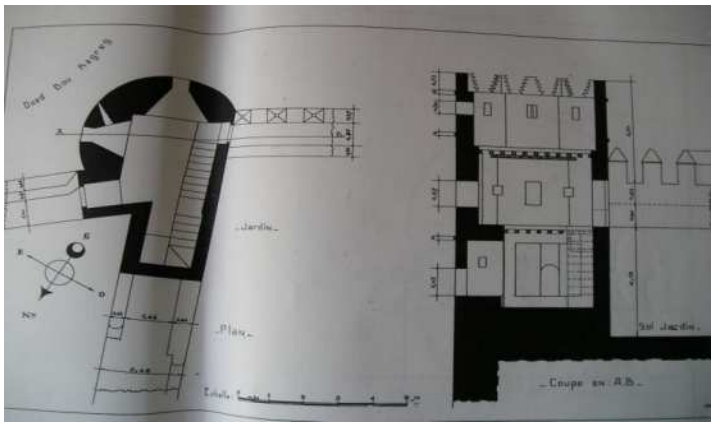

(**شكل** 4) **تخطيط البرج الشرقي في قصبة الأوداية، نقلا عن**
Caillé Jacques, La ville de Rabat jusqu'au protectorat Français, Editions d'art et d'histoire, MICMXLIX.

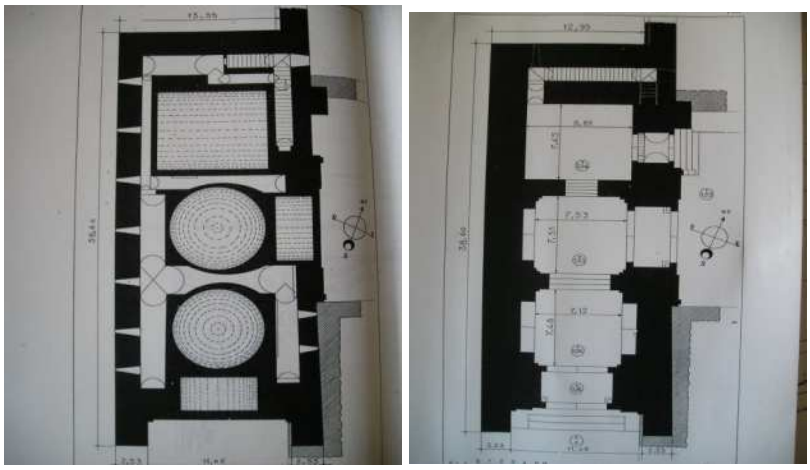

(**شكل رقم** 5) **تخطيط الباب الكبير ووسائل التغطية بقاعاته الثلاث، نقلا عن** :
Caillé Jacques, La ville de Rabat jusqu'au protectorat Français, Editions d'art et d'histoire, MICMXLIX.

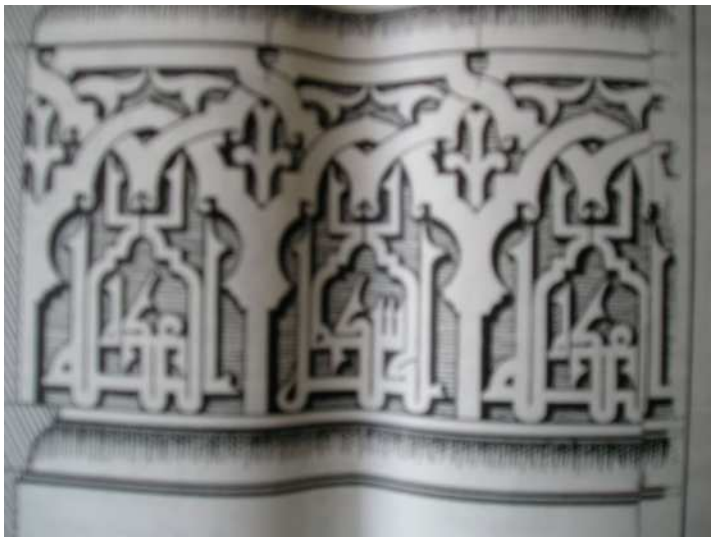

(**شكل رقم** 6) **تفاصيل الزخارف الكتابية على الباب الكبير بالأوداية، نقلا عن** :
Caillé Jacques, La ville de Rabat jusqu'au protectorat Français, Editions d'art et d'histoire, MICMXLIX.

الخلاصة وأهم النتائج :

- حصر العمائر الإسلامية الحربية في العصرين الموحدي والمريني من الأسوار والأبراج والأبواب والقصبات الباقية على ضفتي نهر أبي رقراق.
- توضيح أهم الطرز المعمارية للعمائر الحربية على ضفتي نهر أبي رقراق في العصرين الموحدي والمريني.
- مناقشة الأصول المعمارية والزخرفية المنفذة على العمائر الحربية على ضفتي نهر أبي رقراق في العصرين الموحدي والمريني، وتحليلها تكويناتها الهندسية، ومقارنتها مع مثيلتها على بعض التحف الفنية خلال تلك الفترة، لتأكيد الوحدة الفنية والتنوعها الزخرفي للفنون الإسلامية الموحدية والمرينية.
- دراسة الكتابية التسجيلية الباقية على العمائر الحربية على ضفتي نهر أبي رقراق في العصرين الموحدي والمريني، وتحليل طرزها الفنية.
- تتبع التأثيرات الفنية المتبادلة بين العمارة الحربية في المشرق ومثيلتها في المغرب الأقصى، خلال العصرين الموحدي والمريني.
- دراسة التأثيرات الأندلسية على العمارة الحربية الموحدية والمرينية على ضفتي نهر أبي رقراق.

المراجع :

أولا: المصادر

- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، راجعه، عبدالوهاب بنمنصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1999م.
- ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972،
- السلاوي ، أحمد بن خالد الناصري، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 4، تحقيق، أحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، المملكة المغربية، 2001
- ابن صاحب الصلاة، تأريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثيين، تحقيق عبدالهادي التازي، وزارة الثقافة والفنون، سلسلة كتب التراث، 68، العراق، 1979م.
- ابن عذاري المراكشي، البيان المغُرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دار الثقافة، ط1، 1985م.
- أبي بكر بن علي الصنهاجي المُكنا بالبيدق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية جولة الموحدين، تحقيق عبدالوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 2004م.
- أبي عبدالله محمد بوجندار ، مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح ، مطبعة الجريدة بالرباط ، جمادى الثانية عام 1345هـ
- إسماعيل ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبدالوهاب ابن منصور، ط2، المكتبة المكليو، الرباط، 1991م
- السلاوي، أحمد بن خالد الناصري، كتاب الاستقصا للأخبار دول المغرب الأقصى، ج 4، تحقيق، أحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، المملكة المغربية، 2001.

- محمد بن على الدكالي ، الاتحاف الوجيز . تاريخ العدوتين . ، تحقيق مصطفى بو شعر، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا ، المغرب / 1986.
- المراكشي، أبي محمد عبدالواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه، صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2006م.

ثانيا: المراجع

- إبراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ المغرب الاجتماعي في العصر المريني، مجلة كلية الآداب، الرباط، 2، 1977.
- تأملات في التاريخ الاجتماعي للعدوتين، الندوة العلمية حول الرباط وسلا، ج 1، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1994.
- المغرب عبر التاريخ، ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000م
- باسيليوبابون مالدونادو، الفن الإسلامي في الأندلس، الزخرفة النباتية، ترجمة على إبراهيم على منوفي، مراجعة محمد حمزة الحداد، 2002.
- حسن على حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس " عصر المرابطين والموحدين" ط 1، مكتبة الخانجي بمصر، 1980
- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، مج2، ج 2، دولة المرابطين والموحدين والحفصيين، العصر الحديث، للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.
- رشيد الناضوري، المغرب الكبير، طبعة الدار القومية،القاهرة ، 1966م.
- رشيد السلامي، المرينيون، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2005م.
- عبدالعزيز بنعبدالله، الأثر الإسلامي في الفن المغربي، مجلة الرسالة الخالدة، 1963م
- الفن المغربي تعبير رائع عن مدارك الأجيال، مجلة اللسان العربي، العدد 1، 1972

- سلا أولي حاضرتي أبي رقراق، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية، سلا، المغرب، 1989
- المغرب الأقصى يحتضن التراث الأندلسي، مجلة التاريخ العربي، العدد 12، خريف، 1999م.
- رباط الفتح بين عاصمة شالة وعاصمة القصبة ، منشورات جمعية رباط الفتح ، 1990
- ثلاثة قرون بين الشام والمغرب عبر الأندلس، مجلة التاريخ العربي، العدد 14، ربيع 2000.
- عبدالعزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة ببيروت، د.ت
- عبدالكريم كريم، رباط الفتح عاصمة المملكة المغربية ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ن المغرب ، 1999
- رباط الفتح عاصمة الثقافة العربية 2003م ، مجلة التاريخ العربي ، العدد26 ربيع 1424هـ/2003م
- عبدالعزيز صلاح سالم، روائع الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 2010
- عبدالله السوبسي ، تاريخ رباط الفتح ، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط ، 1979
- عبد الواحد العسري، مدخل لدراسة كتاب أعز ما يطلب لابن تومرت، مجلة كلية الآداب بتطوان، عدد1، سنة 1986م
- عثمان عثمان اسماعيل ، تاريخ شالة الإسلامية، بيروت، 1975 م .
- حفائر شالة الإسلامية، أبحاث تاريخية وكشوف أثرية بالمغرب الأقصى، دار الثقافة، ط1، 1978م
- تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج3، عصر دولة الموحدين، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993م.
- تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج 4، عصرالدولة المرينية ودولة بني وطاس، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993.

- عمر أفا، ملامح من تطور الخط المغربي من خلال الكتابة على النقود، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، العدد 18، 1993.
- عمر أمين بنعبدالله، عدوتا الرباط وسلا، ومدى تواجد الصناعة التقليدية بهما، الندوة العلمية حول الرباط وسلا، ج 1، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1994.
- سحر السيد عبدالعزيز سالم ، مدينة الرباط في التاريخ الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الأسكندرية ، 1996م
- السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981م
- تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة،
- ليوبولدونوريس بالباس، الفن المرابطي والموحدي، ترجمة سيد غازي، الناشر، منشاة المعارف، الإسكندرية، 1979م
- مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة لطفي عبدالبديع، والسيد عبدالعزيز سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م.
- محمد حجي، ظاهرة الجهاد في تأسيس سلا والرباط، الندوة العلمية حول الرباط وسلا، ج1، مطبعة فضالة، المغرب، 1994
- محمد عبدالله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1964م.
- محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم االنشر والتوزيع، 1985
- محمد المنوني، حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، بدون تاريخ. كلية الآداب، الرباط، 2، 1977م.
- ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1996.

المراجع الأجنبية:

Benslimane Hassar J., Le passé de la ville de Salé dans tous ses états: histoire, archéologie, archives, éditions Maisonneuve et Larose, Paris, 1992.

Caillé Jacques, La ville de Rabat jusqu'au protectorat Français, Editions d'art et d'histoire, MICMXLIX.

Chastel Robert, Rabat-Salé vingt siecles de l'oued Bou Regreg, Edition la porte, 1997.

Ech-cherki Dahmali, L'Aqueduc de Ain Gbula :Etude Historique et Architecturale, Institut National des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine, 2001- 2002,p. 7.

El-Omari Rachid, Architecture Militaire de Salé, propositions de restauration, Institut National des sciences de l'archeologie et du patrimoine, 1995-1996, pp.70-71.

Hoag John D., Western Islamic Architecture, New York, 1983.

Marçais G., L'architecture musulmane d'occident, Paris, 1954.

Meunie Jacques, La Zaouiat en Noussak une fondation Merinite aux Abords de Sale, Mélanges d'histoire et d'archéologie, Tom II, 1948,

Pauty Edward, Vue d'ensemble sur les Hammams de Rabat-Salé, Extrairt de la reuvue Africaine, N°: 400- 401,1944

Ratiba Rigalma, Les inscriptions Arabes de Salé inventaire et étude stylistique, Institut national des sciences de l'archéologie et du patrimoine, Juin 1998.

Terrasse H., & J. Hainaut, Les arts décoratifs au Maroc, Afrique orient, 1988,.

., Trois bains mérinides du Maroc, Mélanges William Marçais,

., Le décor des portes anciennes du Maroc, in Hesperis, T. III, 1923, P. 147-174.